

في الدراسات الغربية

نشرة فصلية تُعنى برصد الاهتمام الغربي بالشيعة والتشيع

تصدر عن المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية



- الإمامية العلوية في وقت هي باطنية
- منتشرة في التاريخ المقدس لدى الشيعة
- من أجل فهم التشيع الإيراني
- المدارس الدينية الشيعية في الماضي والحاضر
- في مدح القليل: دراسات في الفكر الشيعي والتاريخ
- من الجزئي إلى الكلي السلطة الفقهية عند الشيعة الإثني عشرية
- طقوس عاشوراء ومراسمها: عودة في التاريخ إلى بناء الذاكرة الجماعية الشيعية

LAURENCE LOUËR
SUNNITES
ET
CHITES

ICP
INSTITUT
CATROLOQUE
DE PARIS
Le plus grand ouvert sur le monde

Ecole Pratique
des Hautes Études

Weatherhead Center
FOR INTERNATIONAL AFFAIRS
HARVARD UNIVERSITY

24heures



تصدر عن المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية

العدد الثالث - صيف 2020م

المشرف العام: الشيخ حسن الهادي

رئيس التحرير: جهاد سعد

مدير التحرير: محمد بنعمارة

رصد وترجمة:

فؤاد حيدر أحمد

عماد أيوب

إخراج وتنفيذ: عباس حسين حمود



5

المقدمة

أبحاث ودراسات

- 11 - الإمامية العلنية في وقت هي باطنية منتشرة في التاريخ المقدس لدى الشيعة
- 15 - شيعة البكتاشي في شيكاغو: التعددية والمواولة التقليدية داخل الشيعة الإثني عشرية
- 20 - من أجل فهم التشيع الإيراني
- 26 - كربلاء (10 أكتوبر 680). رفرقة جناحي الفراشة

إصدارات: كتب ، مجلات، صحف

- 31 - كتاب: الأقليات الشيعية في العالم المعاصر الهجرة، والعبور بين القوميات والتعددية
- 34 - المدارس الدينية الشيعية في الماضي والحاضر
- 40 - المصالحة السنية - الشيعية في ماليزيا
- 44 - تأثير علم القيم الشيعي في ثقافة ملايو
- 45 - حماية قلعة الإسلام في العصر الحديث: حالة المجتهدين الشيعة وحوزة النجف في أوائل القرن العشرين بالعراق
- 58 - في مدح القليل: دراسات في الفكر الشيعي والتاريخ

ضرورة التحرير العلمي والعالمي لواقعة

كربلاء

يصدر هذا العدد في أجواء أربعينيّة الإمام الحسين عليه السلام، هذه المناسبة التي لا تزال تشغل العالم، كأكبر تجمّع روحيّ ودينيّ في القرن الحاليّ. فيما لا تزال الأدبيات الصادرة عن الدوائر الغربيّة -التي تتناول واقعة الطفّ- ترى تلك التّهضة بعيون متحيّرة أو متسائلة أو باردة، وتكرّر الأخطاء نفسها بالنسبة لدوافعها وأحداثها ونتائجها. فرغم أنّها كانت قبل ظهور المذاهب بالمعنى الرّسمي، إلا أنّ الدّراسات الحديثة لا تزال تقحم الواقعة في معادلات الفتنة المعاصرة، وتقزّم أهداف الإمام الحسين عليه السلام من ثورته، من دون أيّ تمييز واضح بين مفهوم الإمامة ومفهوم الخلافة السياسيّة... تتكفّل الأربعينيّة في كلّ عام بلفت الأنظار إلى الشهادة التي تربّعت على عرش القلوب، فحرّكت ثورات واستنارت بها أفكار، كما يشير الحشد العالمي في ثرائه وتنوّعه إلى معنى أن تكون هناك ثورة عابرة للحدود القوميّة والمذهبيّة والطائفيّة. ولذلك تأتي المعالجات الغربيّة الضيقة لواقعة كربلاء كمحاولةٍ للحدّ من هذا التمدّد الحسيني، الذي أصبح نهراً دفاقاً بمعاني التحرّر الحقيقي للمسلمين والعالم.

ومن هنا، ورغم الجهود المشكورة التي أبرزتها الموسوعات الحسينيّة، فإننا بحاجة إلى المزيد من الأبحاث الأكاديميّة بكلّ اللغات الحيّة التي تحرّر التّهضة الحسينيّة من الأطر الضيقة التي يحاول بعض الباحثين حبس أبعادها، وذلك بالتأكيد على ما يلي:

- التمييز الحاسم بين مفهوم الإمامة ومفهوم الخلافة السياسيّة، فمرتبّة الإمامة بحسب النّص لا يتمّ نزاعها «قام الإمام أمّ قعد»، وموقع الإمام المعصوم أعلى من أيّ منصبٍ سياسيّ، وبالتالي فإنّ دوافع ثورته تتعلّق بالدّفاع عن الإسلام في حقيقته وجوهره، وعن القيم الإنسانيّة التي تعرّضت للانتهاك على يد الطغاة والمنافقين.

• كانت كربلاء قبل المذاهب وظهورها الرسمي، وبالتالي فإنّ مقاربتها كثورةٍ يجب أن تُبرز التنوّع الموجود في أنصار الإمام الحسين عليه السلام، وأنّ الجامع بينهم هو الاستقامة والثبات على خطّ الإسلام الأصيل، الذي تمثّله ولاية آل البيت عليهم السلام....

• فإدانة التضحية الحسينية والتي لا مثيل لها في تاريخ الثورة، جعلت من هذه الثورة وقوداً روحياً دائماً للأجيال، ففيها الشيخ والكهل والشاب والولد والزوجة والأخت والأم والبنت، إنّها «مجتمع مصغر» يثور على حكمٍ منحرفٍ بقيادة إمامٍ للجميع.

هذه مجرد بداية لورشته تقدّم الثورة الحسينية بكلّ لغات العالم بما يليق بمقام شهادة الإمام.

في هذا العدد

1. تزداد المادة المتوفرة عن التّشيع والفرق المنسوبة إليه، والتي تحتاج إلى تنقية وردّ ونقد على المواقع التي تدّعي التّخصّص، وتنتشر ما يلائمها من صور ومفاهيم بعيدة كلّ البعد عن الواقع. فهذا موقع imago mundi الذي يحمل شعار الرّؤى الكونيّة (Cosmovisions)، ويترجم محتواه إلى ست لغات عالميّة حيّة، يتصدّى لتعريف الفرق الشيعية بأسلوب مبتسر تحت عنوان الإسلام الشيعي، ونلاحظ عليه اختصار تعريف الإمامية واختزاله مع التّوسّع في تعريف الإسماعيلية والحرص على ربطها بتجربة حسن الصباح والزندقة... أمّا في تعريف غلاة الشيعة فترد فرقاً منقرضة لا وجود لها في عصرنا الحاضر؛ بسبب اعتماد الكتاب على كتب الملل والنحل القديمة، ومما يثير التعجّب نسبة إحدى الفرق، وهي الكمالية، إلى غلاة الشيعة وهي تكفّر الإمام علي عليه السلام بعد محنة الخوارج.

2. كتاب: الأقليات الشيعية في العالم المعاصر، الهجرة، والعبور بين القوميات والتعددية. يتابع موجة الاهتمام بالعقيدة العابرة للحدود عند الشيعة وكيف تحافظ الأقليات الشيعية على عقيدتها ونمط حياتها في بيئات آسيوية وأميركية وأوروبية مختلفة.

3. دراسة طالب دراسات عليا من جامعة هارفارد: «الإمامية الظاهرية في وقت هي باطنية منتشرة في التاريخ المقدّس لدى الشيعة». تذهب في إرساء طابع باطني للتشيع لا يعرفه حتى الشيعة، ولكنها من ناحية أخرى تُبرز تعلق الشيعة بالأئمة والعلاقة بين كربلاء الإمام الحسين عليه السلام والإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

4. دراسة مجلّة الواحة الفرنسيّة عن الحوزات الشيعية ترصد تطوّر المنهج في هذه الحوزات، كما تركّز على الطّابع الشّخصي في العلاقة بين الأستاذ والطالب والحرية التي يتمتّع بها هذا الأخير في اختيار أساتذته.

5. نتعرّف في هذا العدد على الدكتور محمد فيصل موسى، المفكّر الماليزي، من خلال نصّ يؤسّس للمصالحة

السنّيّة - الشيعة في ماليزيا، التي تأثرت بالسلطة الماليّة الوهابيّة في أواخر التسعينيات من القرن الماضي، وتمثّل هذا الأثر بنشر الفساد الحكومي والتعصّب المذهبي إلى أن تمّت الإطاحة بالحكومة الفاسدة، وعاد الصوت المعتدل للرئيس مهاتير محمد. كما يؤكّد الدكتور موسى هذه الحقائق في مقالة خاصّة عن ثقافة الملايو.

6. مقالة الباحث محمد كلتاري في مجلّة العالم الإسلامي التي تصدر عن مؤسّسة هارتفورد، تحاول فهم سياسة الفقهاء الشيعة المتمحورة حول حفظ بيضة الإسلام، والذي يلاحظ أنّه مبدأً يحدّد مدى ثوريّة التّحرّك السياسي للفقهاء أو يدفعه إلى المهادنة والهدوء بحسب رؤيته لمدى الخطر على قلعة الإسلام.

7. يعرفنا محمد صاغا وهو باحث في جامعة شيكاغو على الفرقة البيكتاشيّة، التي لها مقرّ في ميتشيغان، وما يميّزها عن الأغلبية الشيعة التي تعيش بالقرب منها في ديربورن. وكيف يختلف نظام الترتيب الصوفي عن نظام التقليد والمرجعية. ويؤدّي في النهاية إلى انغلاق الفرقة على نفسها. وفي كلامه عن حال البيكتاشية في فترة الحكم العثماني بعض الأخطاء؛ لأننا نعرف من مصادر أخرى في التاريخ العثماني أنّ البيكتاشية كانت منتشرة في الجيش الإنكشاري أيام محمد الفاتح، وكان لها دور في التنظيم الديني للجيش العثماني وفي فتح القسطنطينية، ولكن السلطان سليم الأوّل اضطهدّها فيما بعد، وحدّ من سلطتها ونفاها إلى الأرياف البعيدة لأسباب مذهبية.

8. أنكي باتيست من جامعة لومبير ليون 2 في فرنسا، نشر سلسلة من الأبحاث حول الطقوس العاشورائية في بعدها الأنثروبولوجي، ويلاحظ الاهتمام بأدقّ تفاصيل إحياء المناسبة بحثاً عمّا يسمّيه الكاتب «باراديجم» عاشوراء أو النموذج الإرشادي.

9. مجموعة مختارة من أبحاث المستشرق الصهيوني إتان كولبرغ (Etan Kohlberg)، وهي أبحاث تتمحور حول الإسلام الشيعي قام كولبرغ بتأليفها على مدى خمسين سنة، تمّ جمعها وتحريرها في كتاب صدر تحت عنوان: في مدح

القليل. دراسات في الفكر الشيعي والتاريخ. ولكولبرغ مساهمات كبيرة في موسوعات تتعلّق بالشيعة، وهو من المستشرقين المتفرّغين للموضوع، ويستحقّ عمليّة متابعة ونقد وتفنيد من دوائر علميّة وأكاديميّة متخصصة عندنا.

10. مقالة للكاتب الفرنسي بيير رويير (Pierre Royer)، والتي نُشرت في مجلّة (Conflits) بتاريخ 4 مارس 2020. نموذج لنص حديث لا يزال يكرّر رؤيةً تحتاج إلى التصويب فيما يتعلّق بواقعة كربلاء وما سبقها وما تلاها، لا تتوقّع من مستشرق فرنسيّ أن يرى الأمور كما نراها، ولكن بما كتبه يكشف لنا حجم الجهد المطلوب منا لفرض حضورٍ علميٍّ موثّقٍ للرؤية الشيعيّة في الفضاء الثقافي الغربي والعالمي.

11. لقاءات مع الإمام الغائب في الإسلام الشيعي الإثني عشري الأولي وما قبل الحديث، كتاب أواميد غاماغامي، أستاذ دراسات اللغة العربية والشرق الأوسط في جامعة ولاية نيويورك في بينغهامتون، الولايات المتحدة الأمريكية. إضاءة جديدة على عقيدة المهدويّة اعتبرها بعض المعلقين من أفضل ما كتب في الموضوع.

هذا بالإضافة إلى تقديم مختصر لمحتوى العدد الرابع من مجلّة الدراسات الشيعيّة، وتعريف بكلّيّة اللاهوت والدراسات الدينيّة في جامعة «لافال» سويسرا، وشخصيّة العدد وهي المستشرقة الفرنسيّة سيدي باراساباجو.

2020/9/28

رئيس التحرير

جهاد سعد

في الدراسات الغربية

الشريعة

أبحاث ودراسات

- الإمامية العلنية في وقت هي باطنية منتشرة في التاريخ المقدّس لدى الشيعة
- شيعة البكتاشي في شيكاغو: التعدّية والموالة التقليدية داخل الشيعة الإثني عشرية
- من أجل فهم الشيع الأيراني
- كربلاء (10 أكتوبر 680). رفرقة جناحي الفراشة

الإمامية الظاهرية في وقت هي باطنية منتشرة في التاريخ المقدس لدى

الشيعة

THE EXOTERIC IMAMATE AS THE OMNIPRESENT
ESOTERIC IN SHI'A HIERO-HISTORY⁽¹⁾



ما هو الدور الذي يلعبه «التاريخ المقدس» في نظرة الشيعة للعالم؟ وكيف يؤثر ذلك على تفسيرات الشيعة للتاريخ والعدالة؟ قام مشروع الشيعة والشؤون العالمية⁽²⁾ التابع لجامعة هارفرد بنشر مقالة للباحث أميتاي أبوزغلو⁽³⁾، وفيها يستحضر البعد الباطني لدى الشيعة الإمامية متسائلاً عن الدور الذي يلعبه التاريخ المقدس عند الشيعة في نظرهم إلى العالم.

(1) <https://shiablog.wcfia.harvard.edu/blog/exoteric-imamate-omnipresent-esoteric-shi%E299-%80%hiero-history%C2%A0>

(2) انظر: العدد الأول من هذه النشرة، ص 43.

(3) أميتاي أبو زغلو طالب في كلية هارفارد يسعى للحصول على درجة البكالوريوس في دراسة الدين. تشمل مجالات اهتمامه الأكاديمية الفكر السياسي اليهودي والإسلامي الحديث، والصراع الإسرائيلي الفلسطيني، ودراسة التعددية الدينية.

يرى الباحث أنّه على عكس بعض التواريخ الكلاسيكية للعالم الإسلامي، فإنّ النظرة الشيعيّة للعالم لا تركّز على العصور الذهبيّة من الماضي، بل تتمحور حول المشهد الأخرى. بالنسبة للشيعيّة، الماضي غير عادل، والمستقبل يحتوي على عصر الانتقام. لذلك، يجمع التاريخ الشيعي الهيروي-الحقيقة الميتافيزيقيّة التي تقود الدورات البشريّة التاريخيّة الحيّة- نقاط الفضل في الماضي والمستقبل معاً. ولقد تمّ تحديد حياة الشيعة من خلال فرص نفي ظلم الماضي، وكذلك إعادة المؤمن إلى الكمال الكوني. وإنّ حقائق الماضي والمستقبل موجودة له على الإطلاق، لذلك لا يوجد إحساس واضح بالخطيئة في الزمن المقدّس للشيعيّة. وذلك؛ لأنّ المفهوم الشيعي للتاريخ المقدّس ينبثق من إعادة تمثيل الإشارات والملاحظات البدائيّة المرتبطة بالأحداث الملموسة التي حدثت في وقت واحد والتي ستحدث أيضاً. من الناحية الباطنية، في المفاهيم الشيعية للتاريخ، فإنّ هذه الأحداث التي حدثت وتلك التي لم تحدث بعد ولكنها ستؤثّر في نهاية المطاف على التاريخ، هي في الواقع الروحي، تتكرّر باستمرار، وهي تهدف إلى توجيه حياة المؤمنين في مسائل التغذية الروحيّة الأساسيّة.

كربلاء والتاريخ المقدّس



توضّح الطقوس المرتبطة بمدينة كربلاء المقدّسة الطبيعة الدوريّة للتاريخ المقدّس للشيعيّة، وتأثيره على الحياة الدينيّة. ويُعزى تصنيف كربلاء كموقع أعلى لحجّ الشيعة إلى الحدث الفردي الذي وقع هناك -قتل الإمام الحسين- وكذلك إلى الأهميّة اللاهوتيّة عبر التاريخ، التي اكتسبها الموقع عند الشيعة منذ ذلك الحين.

في كربلاء، كان الإمام الحسين، وبالتالي بيت محمد بأكمله،

محرومين من العدالة، وهكذا يُعرّف الشيعة عائلة محمد على أنّها بيت الأحران، حيث ينظرون إلى أنفسهم على أنّهم من أتباع عائلة النبي، الذين ظلّموا تاريخياً؛ وهو ما يُفسّر الحثّ على المشاركة في زيارة كربلاء الحاليّة بعد أن مرّ وقت طويل من معركتها الفعلية. وأيضاً لأنّ كربلاء تجسّد الظلم في التاريخ وتجسّد مشروع إعادة العدالة. والمظلوميّة والعدالة صفتان تتجسّدان في استشهاد الإمام الحسين.

إنّ استشهاد الإمام الحسين يتمّ عن ضرورة التضحية بالنفس من أجل إنقاذ الإسلام من المغتصبين، وإنّ وفاته ظلماً تدلّ على حالة الظلم التي تعيشها البشريّة عامّة والشيعة خاصّة، والتي ستظلّ حتّى ظهور المهدي.

يُنظر إلى جميع المآسي الخاصة على أنها صورٌ مصغرةٌ للمأساة الكبرى في كربلاء، وكربلاء تجسّد المعركة الكونية من أجل الحقّ ضدّ الباطل: «هذه المعركة لها تداعيات في كلّ فترة خلال جميع مراحل التاريخ، وهي من قبيل معارضة الأنبياء والأئمة في كلّ دين».

طقوس عاشوراء

طقوس عاشوراء في ذكرى وفاة الإمام الحسين تمكّن الشيعة من توجيه حياتهم الدينية إلى حقيقة ما بعد التاريخ، التي لا تزال موجودة بكربلاء. وإنّ تقاليد الحجّ إلى كربلاء هي من أجل تجديد العهد مع الإمام الحسين، كما أنّ المراسم العلنية المتمثلة في المسرحيات (التعزية) وإلقاء المراثيات من أجل إثارة البكاء والحزن للتعاطف مع معاناة الإمام تسمح -بحسب الشيعة- بالارتباط الشخصي مع الإمام الحسين ورسالته الاستشهادية.

مؤسسة النبوة ومؤسسة الإمامة

تقوم مؤسسة النبوة بتعليم البشرية السّير في المسار الصحيح، وأمّا الإمام فهو يقوم بقيادة المؤمنين من خلال هذا المسار الأخروي المصمم إلهياً. وهنا يكمن الفارق بين النبوة والإمامة.

إنّ ولاية الإمام هي التي تولّد الصّلة بين الواقع الظاهري والواقع الكوني ... مؤسسة النبوة تبلغ المؤمنين وغير المؤمنين على حد سواء بالطريق الصحيح، في حين أنّ التاريخ الشيعي المقدّس يتكوّن من التفاعل بين الأصول الظاهرية والباطنية للعلوم الشيعية، والتي يتشكّل مسارها من خلال تفسير التاريخ الشيعي الحيّ الذي يركز على الإمام كنموذج. إنّ عبارة «كلّ يوم كربلاء» مفهومة من خلال هذا التفاعل. ما هو كونيّ ذو أهمية يجد قدماً في الواقع ويمكن تطبيقه هنا والآن. ويصبح ما يتمّ إنشاؤه بشكلٍ طفيف واضحاً فقط في الباطن.

تشير مؤسسة الإمامة إلى -ربما- ما هو أكثر ادّعاء راديكاليّ متأصلٍ في تاريخ الشيعة: النبوة غير كافية بمفردها. يتطلب غياب النبي الحيّ تفسيراً موثقاً للكتاب المقدّس والنصوص الشرعية. وتمنح هذه الأدوار المرتبطة بالنبوة إلى الإمام، وهو المكملّ الوحيد الذي لا غنى عنه بعد النبوة وفق الازدواجية الشيعية الظاهر/ الباطن، الذي يعمل على كلّ مستوى من الواقع. يمثل الإمام الحسين الجانب الباطني للإمام الشيعي. والمعاناة القصوى التي يتحمّلها الإمام الحسين تُؤكّد الفداء للبشرية جمعاء. وتكمن في العلاقة الإنسانية-الإلهية التي من خلالها ترتبط المعاناة المأساوية للإمام الحسين بشكل لا ينفصم بالخلاص الشامل؛ لذلك يُنظر إلى الأئمة عند الشيعة على أنّهم نعمة إلهية، ولا يمكن للأرض أن تكون بدون إمام في أيّ وقت.

إنّ المنظور الذي يعرف «الإمام التاريخي» على أنّه إمام الكون يوازي بنية التاريخ الشيعي الباطني. ووفقاً لهذا التوازي، فإنّ الحاضر التاريخي (الذي يدلّ عليه وجود التاريخ التاريخي وهو الإمام) مرتبط بما هو أبعد من أيّ لحظة تاريخية (يدلّ على ذلك الحضور عبر التاريخ للإمام الكوني). إن ولاية الإمام هي التي تولّد الصّلة بين الواقع الظاهري والواقع الكوني.

على الرغم من أنّ تعيين الأئمة على أنّهم نوابٌ للأنبياء، إلّا أنّهم أكثر مركزية من الأنبياء في النظرة



الشيعية، وهم في الوقت نفسه وكلاء الخلق وسببه؛ حاملو خطايا المتديّنين. الشهداء الذين ينقذون أتباعهم ويحاكمونهم؛ والقيادة التي ستكمل دور النبوة في الحساب النهائي.

إنّ نظرة الشيعة للتاريخ المقدّس تسمح للتاريخ بمواجهة الإله من خلال الإمام. وبعبارة غامضة، «الإمامة التاريخية هي في الأساس دين المحبّة، وهي وجه الله، وهو ليس سوى الإمام الكوني». ويسعى الشيعة المتديّنون إلى زراعة إمامهم الداخلي، وبالتالي أتباع تعاليم الأئمة طوال حياتهم. وهذا النضال يصل إلى ذروته في الحداد على الإمام الحسين وإقامة بيت الأحران، حيث أصبحت دموع المتديّنين «مصدراً للخلاص».

يُركّز الشيعة الإثنا عشرية تفانيهم حول الإمام الخفي، والمعروف أيضاً باسم الإمام المهدي، الذي سيشير ظهوره إلى ظهور العصر الأخروي. ويعدّ ظهوره مجدداً بتقريب العالم من النور. ويعدّ الإيمان بسيادة الإمام المهدي على الرغم من غيابه الظاهر من الأمور الحاسمة في حياة الشيعة. والمهدي هو سليل الإمام الحسين؛ حيث إنّ مجيئه ينطوي على الانتقام النهائي لقتل الإمام الحسين في كربلاء، والانتقام للمعاناة الإنسانية العامة المترابطة. الإمام المهدي «لن ينقذ مظلومي هذه الفترة فحسب، بل سينتقم أيضاً من جميع المظالم المتراكمة على مرّ العصور».

المؤمنون ببعثة المهدي الذين سيساعدون في انتصاره يمثلون جماهير المظلومين، وهذا هو تصوّر الشيعة لذاتهم كحركة مضطهدة ظلماً في تاريخ الإسلام. وبالتالي فإنّ التاريخ الشيعي الشيعي متماسك بشكل خاص مع الإيمان بتراجع التاريخ الذي يضمنه فقط الخلاص المستقبلي، الذي سيتمّ على يد الإمام المهدي.

يشير الفداء الأخروي الذي يكشف عنه ظهور الإمام المهدي بالتساوي مع الخلاص الجماعي إلى الخلاص الفردي الذي قد يُحقّقه أتباع الإمام قبل ظهوره. وتمنع الحياة الشيعية التعبدية من ادعاء الاتصال بالمهدي في الأماكن العامة، على مبدأ انتظار عودته. كما أنّه هناك الكثير من الجدل داخل الشيعة حول الإعداد الصحيح للظهور. ومع ذلك، فإنّ التركيز على الانتظار، مهما تمّ تنفيذه، يشمل الشيعة مباشرة في وجهة نظر الشيعة التاريخية. وإنّ الحثّ على فهم «من أين وإلى أين؟» يحوّل الطبيعة الدورية للوقت المقدس إلى شيء من الاهتمام بالتعبّد الملموس. وإذا لم يرغب الشيعة في المطالبة بالاتصال بالمهدي حتى عودته العلنية، فإنّهم على الأقلّ، من خلال أساليبهم في الانتظار، يظلون على اتصال بنطاق نظرتهم الدينية المتسرّبة من الأخريات، ويعيشون ويتصرّفون كما لو كانوا يخدمونه.

تتضمّن مهمّة الإمام المهدي «بعداً جماعياً وعالمياً وخارجياً يفترض أن يحدث في» التاريخ» من أجل تعطيله أو تحطيمه، وتتضمّن أيضاً بعداً داخلياً فردياً آخر تماماً، يحطم وجود المؤمنين». وأمّا على المستوى الفردي والعالمي، فإنّ الإمام المهدي يعيد ترتيب الحياة إلى أجزاء أكثر اكتمالاً. ولقد أكّدت القراءات الباطنية لمظاهر الإمام المهدي أنّ المهدي سوف «يؤسس ديناً باطنياً عالمياً»، «يختم الانتصار النهائي لقوى العقل على قوى الجهل؛» ويعيد بدء أصل الخلق، ويتخلّص مطلقاً من الظلم ويستعيد الحكم الشرعي ويطبّقه. ويرى الشيعة أنّ التاريخ يجد أنّ هذه التفسيرات الجريئة مفيدة ومبرّرة، إن لم تكن صحيحة تماماً...

شعبة البكتاشي في شيكاغو:

التعددية والموالاة التقليدية داخل الشيعة الإثني عشرية

THE BEKTASHI SHI'AS OF MICHIGAN:
PLURALISM AND ORTHODOXY WITHIN TWELVER SHI'ISM⁽¹⁾

كتب محمد صاغة⁽²⁾، المساعد في «مشروع الشيعة والشؤون العالمية في مركز ويذرهد للشؤون الدولية في جامعة هارفارد»⁽³⁾ مقالاً عن المجتمع الشيعي البكتاشي ومقره ميتشيغان، وقد جاء هذا المقال في «مدونة الرؤى» (The Visions Blog) بتاريخ 15 شباط 2020؛ حيث يستكشف الجدل حول عقيدة الموالاة التقليدية، والعقيدة المخالفة للإجماع في الإسلام، والحاجة إلى دراسة التنوع والتعددية داخل الشيعة الحديثة، التي غالباً ما يتم تجاهلها في النقاشات الأوسع حول الإسلام والعالم الإسلامي.

يبتدئ صاغة مقاله بالتطرق إلى تاريخ المجتمع البكتاشي والظروف التي مرّ بها، ويقول في ذلك: إن تاريخ هذا المجتمع، النابع من البيئة المتنوعة والغنية دينياً لشرق البحر الأبيض المتوسط، متجذّر في النظام الصوفي للشيعة البكتاشيين الإثني عشرين، والذي يحمل اسم المؤسس في القرن الثالث عشر، «الحاج بكتاش والي»، وهو رجل مسلم صالح ذو شخصية ساحرة من القرن الثالث عشر، وينحدر من سلالة النبي محمد، وهو من خراسان (شمال غرب إيران / آسيا الوسطى). وقد جذب الحاج بكتاش عدداً كبيراً من الأتباع، خاصة في منطقة الأناضول والبلقان، التي تُعتبر المركز التاريخي للإمبراطورية العثمانية. كان نظام «دوشيرمه» (Devshirme) - أي التجنيد الإجباري للأولاد الصغار في سلك جنديّة العبيد في الإمبراطورية العثمانية - قد تمحور بشكلٍ مركزيٍّ من منطقة البلقان وأوروبا الشرقية. كان هذا النظام، الذي قد يكون أستوحى من الممارسة البيزنطية للتجنيد الإجباري، وهو 5/1 من عدد الأطفال في المناطق السلافية والألبانية، حاسماً لتاريخ الفيلق الإنكشاري الشهير (Janissary corps) الذي كان الانتماء الديني لنظام البكتاشي الصوفي هو المهيمن على أعضائه.

(1) <https://shiablog.wcfia.harvard.edu/blog/bektashi-twelve-shi%E299-%80%and-diversity-shiism>.

(2) وهو مرشح دكتوراه في التاريخ الإسلامي والحضارة في جامعة شيكاغو. وهو أيضاً مدير مشارك لمجموعة الدراسات الشيعية في جامعة شيكاغو.

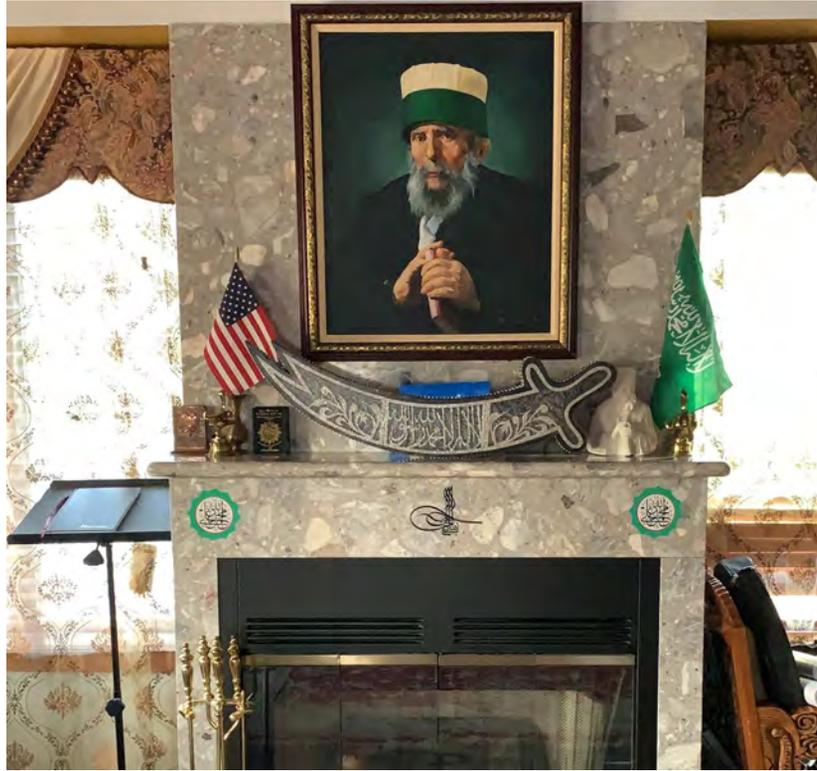
عمل سابقاً كمشارك في مشروع إيران ومنسق مشروع إيران في «مركز بيلفر للعلوم والشؤون الدولية في مدرسة هارفارد كينيدي»، بالإضافة إلى أنه

محرّر في «شريعة سورس» (SHARIASource) في برنامج الدراسات القانونية الإسلامية في كلية الحقوق بجامعة هارفارد.

(3) انظر: تعريف المشروع في العدد الأول من هذه النشرة.



كان الحاج بكتاش جزءاً من الهجرة التركيّة الأكبر لرجال صالحين متدينين أي الباباوات الذين هاجروا من أوطانهم في آسيا الوسطى، بسبب ظروف سياسيّة بشكل أساسي، ودخلوا بيئة عرقيّة ولغويّة ودينيّة متنوّعة في شرق البحر الأبيض المتوسط، الذي كان مرتبطاً أيضاً ارتباطاً وثيقاً بالمناطق المحيطة من القوقاز والمرتفعات الإيرانية وبلاد الرافدين. في حين أنّ الأصول الدقيقة لنظام البكتاشي هي موضوع نقاشٍ علميٍّ، والواضح هو الميول الكونيّة الباطنيّة، والصوفيّة، والإسلاميّة لحركة البكتاشي ولنظرائها من الحركات «الصوفيّة» المماثلة التي يُمكن ربطها بشكل عام بإحياء الصوفيّة الأوسع في العالم الإسلامي في هذا الوقت.



كما هو الحال مع العديد من الحركات الأخرى ذات التوجّه الباطني، فإنّ مسألة الموالاة التقليديّة ومخالفة الإجماع تقفز إلى الواجهة عند مناقشة البكتاشيّة. ولأنّ البكتاشيين -المرتبطين بمظلة «العلويين الشيعة» الإثني عشرين البارزين في تركيا والشرق- لا يمارسون الطقوس الإسلاميّة نفسها وفقاً لمدرسة القانون الشرعي (المذهب) مثل الغالبية العظمى من العالم الإسلامي (التي تتبع التيار الشيعي الاثني عشري والسني على حدّ سواء). تنشأ أسئلة غير مريحة تتعلّق بهويّتهم المسلمة (أو عدم وجودها) داخل الهيئة السياسيّة المسلمة الأكبر. نظراً لأنّ العقيدة الإسلاميّة الملتزمة تميل إلى أن تكون مفهومة من خلال ممارسة الشعائر. تميل الديناميكيات الداخلية والخارجية إلى الظهور مع مجموعات مثل البيكتاشيين الذين لا يُطلب من الغالبية العظمى من أعضائهم اتباع الشريعة الإسلاميّة. فقط نسبة صغيرة من البيكتاشيين يصعد في التسلسل الهرمي للنظام الصوفي، ويتم تدريبهم في البدء على الممارسات الشعائرية لمحبي الطريق. هناك بالطبع أسباب تاريخيّة وراء ذلك ترتبط جزئياً بالمجموعات الغامضة، مثل البكتاشيين، والتي تهدف إلى حماية نشر

معتقداتهم في المجتمع الإسلامي الأوسع حولهم، والتي يمكن أن تثير اضطهاداً عنيفاً أو ردّ فعل عنيف تجاه هذه الأقلية الدينية الضعيفة.

من أول الأشياء التي سيلاحظها الزائرون عند زيارة «تكة» البكتاشي المزيّنة بشكل جميل، هو ذو الفقار المعروف في وسط الغرفة، وهو سيفٌ ذو رأسين للإمام علي بن أبي طالب. هذا الرمز -الذي يمثل عدالة ونبل الإمام علي وقوّته الأسطورية- يتغلغل في العالم الشيعي، ويُمكّن رؤيته ممثلاً في العديد من التشكيلات الفنّية والمجوهرات والرسوم التصويرية حيثما يتواجد الشيعة.

إنّ ما يجعل الإسلام البكتاشي -إلى جانب أنواع أخرى من العلويين والإسلام العلوي- أمراً رائعاً للغاية هو هويّته الحديثة الهجينة، التي يصعب للغاية وضعها في أيّ فئة مفردة. ما أصبح واضحاً تماماً من خلال حديث مع رئيس الدراويش لمركز البكتاشي هو المعتقدات الشيعة الإثني عشرية، التي كانت لدى البيكتاشيين. إنّ إخلاصهم لآل النبي (أهل البيت)، وللإمام علي باعتباره ينبوع المعرفة الباطنية، وصولاً إلى المأساة في كربلاء وخطّ الأئمة الإثني عشر لم يكن فيه فرق مقارنة بغيرهم من المسلمين الشيعة الجعفرية الإثني عشرية في أرجاء العالم. وكما يوضّح موقعهم الإلكتروني ومنشوراتهم بوضوح شديد، فإنّهم يلتزمون تماماً بالأئمة الإثني عشر، وتواريخ الميلاد والوفاة المقبولة لدى الموالين التقليديين، والمصادر الشيعة الرئيسية فيما يتعلق بسيرهم، كما أنّهم يؤمنون بالمهدي «صاحب الزمان» وهو محمد بن الحسن ابن الإمام الحسن العسكري والسيدة نرجس.

ولكن أحد الاختلافات الرئيسية الموجودة هو الهيكل التنظيمي الأكاديمي للبكتاشية المتنوعة، الذي يختلف عن الهيكل التنظيمي الخاص بالشيعة الإثني عشرين الآخرين؛ لأنّ التسلسل الهرمي البكتاشي يقوم على نظام صوفي بدلاً من النظام المعاصر للمرجعية الدينية (آيات الله العظمى)، التي يتبعها غالبية الشيعة الإثني عشرين الآخرين. إنّ الأسباب الكامنة وراء ذلك متجذّرة في كيف أنّ الظروف التاريخية قد أدّت إلى التنوع في طرق ممارسة التشيع وكيفية اختيار القادة الدينيين للشيعة العابر للقوميات. معزولة عن قلب إيران ومشروع الصفويين، التي مورست بموجبه أشكال معيّنة من التشيع الموالي التقليدي، أي حكومة دينية بالتعاون مع النخبة الدينية التي تمارس المذهب الشرعي الجعفري.

كان البيكتاشيون في ظرف محفوف بالمخاطر للغاية حيث اعتبر السلطان العثماني وحلفاؤه من رجال الدين السُنّة بعض أشكال الشيعة الإثني عشرية على أنّها بدعة، وكانوا منخرطين في صراعٍ شريرٍ مُؤطّرٍ من حيث العداء الديني ضدّ الصفويين. وكان هذا يعني أنّ بعض أشكال الشيعة الإثني عشرية التي كانت تُمارس في مناطق السلطة العثمانية كان عليها أن تتكيّف مع الظروف الاجتماعية والسياسية والضغط المفروضة عليها من الخارج. ولقد أثّرت هذه الظروف التاريخية على مسار الشيعة الذين يعيشون في الأراضي العثمانية، وأسفرت عن شعائر مختلفة، وتطوّر عقيدة الموالاة التقليدية لدى الشيعة العلويين والشيعة البكتاشيين، الذين لم يكن لديهم القدرة نفسها على الوصول إلى الرقابة الدينية الرسمية مثل إخوانهم الشيعة في مناطق السلطة الصفوية.



«الدرويش» (وهي مرتبة ضمن النظام البكتاشي) الذي رتب لزيارتنا في ميتشيغان -د. ألتون باساج (Eliton Pasaj)- كان على دراية وصريحاً جداً حول الممارسات والتحديات التي تواجه مسلمي البكتاشي في الفترة المعاصرة. لقد تأثرت بشدة بصدقه وانفتاحه فيما يتعلق بمعتقدات وممارسات مجتمعه. بسبب العلمانية الشاملة التي خضع لها الألبان في القرن العشرين تحت الدكتاتورية الشيوعية، فقد كان يتعامل مع مجموعة معقدة من القضايا التي تواجه مجتمعه، فيما يتعلق بمفاهيم الشعائر الإسلامية والممارسات وموالاته التقليدي. في حين أن الدكتور باساج، بصفته قائداً أكاديمياً للمجتمع، كان يود أن يرى ممارسات معينة طبيعية، مثل الامتناع عن الكحول، لكنه كان يواجه صداً من بعض أفراد المجتمع الذين خلطوا هذه المعتقدات مع السلفية الإسلامية الوهابية وممارسات خاطئة في تمثيل الالتزام بالمعايير الإسلامية. بغض النظر، فقد ذهب هو نفسه إلى الحج، كما أن البكتاشيين الآخرين يقومون بالحج بانتظام إلى أضرحة الأئمة، بما في ذلك في كربلاء، في العراق، حيث يوجد ضريح الإمام الحسين.



في كثير من الأحيان، عند مناقشة المسلمين البكتاشيين والعلويين المسلمين، يقال إنهم يمارسون الإسلام المخالف للإجماع، والذي هو مزيج من «الإسلام» والممارسات الشامانية، المانوية، الزرادشتية، والمعتقدات الأخرى «غير الإسلامية». ومع ذلك، فإن هذا الفهم بشكل عام هو نوع من التصنيف العلمي للبكتاشيين وللعلويين، الذين من وجهة نظرهم الخاصة في الواقع إنما هم يمارسون الإسلام المعياري -حيث يعتبرهم ذلك الفهم غير متدينين أو «إسلاميين» غير أصليين، وهي وجهة نظر من خارج مجتمعهم. تنبثق تصنيفات الموالات للتقليد / والمخالفة للإجماع من الديناميكيات الداخلية والخارجية؛ أما فهم البكتاشية فيكاد يكون حصرياً من منظور خارجي.

يقول الباحث: بينما وقفنا خارج قبر الباباوات السابقين، المزينين داخلياً بآيات من القرآن الكريم، والتي بناها المجتمع

البكتاشي في ميتشيغان، ناقشنا شعائر الحجّ، وتعبيرات مختلفة عن الروحانيّة، والضغوط التي يُواجهها المسلمون في جميع أنحاء العالم من السلفيين والوهابيين. نظر «إلتون» (Eliton) إليّ وقال بثقة إنّه حتى إذا لم يعتبره المسلمون الآخرون أنّه مسلم، فإنّه فخورٌ بكونه واحداً من المسلمين، وبغضّ النّظر عمّا يعتقدّه الآخرون، وأنّهم سيستمرّون في ممارسة الإسلام والبقاء صادقين مع تراثهم ومعتقداتهم الحقيقيّة.

في الختام يرى محمد صاغا أنّ هذا المجتمع من الشيعة البكتاشيّة الإثني عشرية في «تايلور» (Taylor)، ميتشيغان - على بعد 20 دقيقة فقط بالسيارة من «ديربورن» (Dearborn) التي تستضيف أكبر تجمع من العرب المسلمين في أمريكا الشماليّة، ومعظمهم من الشيعة الإثني عشرية - يمنحنا الكثير للتفكير كأمركيين وكمسلمين يعيشون في مجتمع تعدّدي مثل الولايات المتحدة. على الرغم من قربهم من مجتمع مسلم مزدهر على بعد دقائق فقط، لم تكن الروابط المؤسّسية موجودة وكان هناك افتقار شبه كامل للتواصل بين المجتمعات، مما يشير إلى عدم وجود حوار بين الأديان بين المسلمين الأمريكيين الذين شاركوا عملياً في المجتمع المدني الأمريكي. وهذا مهمّ بشكل خاصّ حيث تميل مجموعات الأقليات إلى أن تكون معزولة للغاية وتتطلّع إلى الدّاخل. وستكون النزعات داخل هذه المجتمعات هي إبقاء المجتمعات متطلّعة إلى الدّاخل وبعيدة كلّ البعد عن التّعابير المتنوّعة الأخرى عن الإسلام. ومع ذلك، كما أوضحت هذه الزيارة القصيرة، من المفيد للغاية لصحة وفهم مجتمعاتنا أن يكون لدينا منافذ عامّة تربط بين مجموعات إسلاميّة متنوّعة مع بعضها البعض، ويُمْكِن أن تثير محادثات حول التعدّدية والرسائل الأساسيّة التي يمكن أن تربط بيننا جميعاً.

إنّ النظر إلى البكتاشية كتعبير متنوّع حقيقيّ للتشيع الإثني عشريّ يساعدنا على فهم التنوّع والوحدة في الإسلام ودخل الشيعة نفسها، وهو الأمر الأكثر أهميّة نظراً لأنّ التنوّع والتعدّدية داخل الشيعة غالباً ما يتمّ تجاهله داخل المجتمعات الشيعيّة العالميّة. كأقليات داخل العالم الإسلامي وكذلك داخل المجتمع الأمريكي، فإنّ التنوّع والوحدة في الإسلام والشيعة يظهران بشكل كامل عند التفاعل مع الشيعة البكتاشيين - سنحسن العمل جيّداً بالاستماع إلى قصصهم وبالتشارك برواياتنا الجماعيّة مع بعضنا البعض في فهم كيف يمكن أن يتواجد التنوع وممارسة الشعائر والمعتقد داخل الإسلام في سياقات اجتماعيّة تعدّدية.

من أجل فهم التشيع الإيراني

POUR COMPRENDRE L'IRAN CHIITE⁽¹⁾

نشرت الصحيفة الفرنسية «لاكروا» (La Croix)⁽²⁾ مقالةً للكاتبة آن-صوفي فيفييه ميرسان⁽³⁾ (Anne-Sophie Vivier-Muresan) تتمركز حول فهم التشيع في إيران، ويعود هذا الاختيار إلى ما عبّرت عليه الباحثة بأن إيران تواجه خطر الفوضى بفعل التطرف الديني المتمظهر في سياستها المتشدّدة تجاه إسرائيل والغرب، وعليه سعت الباحثة في دراستها هذه إلى تفحص البعد الديني للمسألة، من خلال إعداد صورة للثقافة الشيعية التي يتقاسمها غالبية الشعب الإيراني.



(1) <https://croire.la-croix.com/Abonnes/Theologie/Les-autres-religions/Pour-comprendre-l-Iran-chiite>.

(2) هي جريدة يومية فرنسية، تأسست في عام 1883 على يد جماعة المتدينين الكاثوليك (القساوسة والإخوة)، وهي صحيفة مسيحية كاثوليكية حتى وإن تغيّرت خيارات التحرير التي تنبثق عنها على مدار تاريخها. وهي مملوكة من قبل مجموعة Bayard Presse منذ تأسيسها. في عام 2018، كانت سادس صحيفة يومية وطنية في فرنسا من حيث التوزيع.

(3) آن صوفي فيفييه ميرسان هي أستاذة مساعدة في معهد العلم ولاهوت الأديان (ISTR)، وباحثة في المعهد الكاثوليكي في باريس.

ولأجل ذلك قامت بتسليط الضوء على الجوانب المجهولة في التدين الإيراني، وشددت على التنوع في التيارات الفكرية التي تؤثر في إيران منذ عقود عدّة. ومن خلال الغوص في المكوّن الديني والثقافي للإيرانيين، ترى صوفي بأنّها ترفع النقاب وتصحّح قليلاً الصورة المفاجئة التي يكوّنها هذا البلد عن نفسه. وقد جاءت أبرز أفكار المقالة على النحو التالي:

داخل المذهب الشيعي، تقديس الأئمة: الحب والمأتم والشهادة

إنّ الإسلام حطّ رحاله في إيران منذ بداية الفتوحات العربية في القرن السابع، لكنّ المذهب الشيعي أصبح الدين الرسمي في إيران في القرن السادس عشر أي في عهد الصفويين، وفُرضَ على عامّة الشعب. كانت البروباغندا الشيعية فعّالة وسريعة. واليوم 94% من الإيرانيين يعتنقون المذهب الشيعي، أمّا السنّة فهم من أقليات عرقية تعيش بالقرب من الحدود (الكردي، البلوش، التركمان).



المكانة المحورية للأئمة

إنّنا نغفل غالباً التأكيد على خصوصية المذهب الشيعي من خلال الاكتفاء بالبحث في الصراعات التاريخية السياسية، التي أسست للاختلاف والافتراق بين المذهبين: السنّة والشيعية، وهذه الصراعات نشأت حول مسألة خلافة محمد ﷺ خلال القرون الأولى للإسلام (من القرن السابع إلى القرن التاسع الميلاديين). دافع الشيعة عن حقوق ذرية النبي ﷺ، التي هي ذرية ابنته فاطمة وزوجها عليّ، في وجه طموحات الخلفاء الثلاثة والأمويين الذين جاؤوا على رأس الدولة الإسلامية. لكنّ المذهب الشيعي

شكّل عقيدة خاصّة تمحورت حول صورة ذرية النبي ﷺ. وأحفاد النبي ﷺ هم أئمة المسلمين وورثوا عن جدّهم النبي ﷺ العلوم الإلهية، وهم وحدهم المؤهلون لتفسير القرآن وتحديد الوجهة الدينية والسياسية والأخلاقية للأمة الإسلامية. فرض المذهب الاثنا عشري نفسه في إيران في القرن السادس عشر وهو ينصّ على اثني عشر إماماً، الإمام الثاني عشر منهم بدأت غيبته عندما كان طفلاً وهو سيظهر في آخر الزمان لكي يستأصل الشرّ من العالم ويجعل الأرض جنة قبل البعث ويوم القيامة.

إنّ الولاء للأئمة أمرٌ عظيم وهو قوام التدينّ الشيعي الشعبي. بنظر الشيعي إذا كان للشريعة الإسلامية أهمّية وتحظى بالاحترام فإنّها لا تمثّل الطريق الوحيد أو حتى الرئيسي للخلاص. هناك أولاً شفاعة الأئمة في يوم القيامة التي ستُجنّب أشياعهم لهب النار بالرغم من كثرة ذنوبهم. كما يُمثّل الأئمة في عالم الدنيا الأدلاء والحماة غير المرئيين الذين يؤازرون أتباعهم وسط الشقاء ويهتمّون بحاجاتهم. لذلك يحظى الإمام بالتقديس على المستوى الشعبي: الزيارات، الصلوات، الحمص الغذائية النذرية كلّها تفاصيل من الحياة اليومية للشيعي الإيراني.

شهادة الأئمة



اتّسمت هذه العبادة برصيد من الحبّ والعزاء. وأمّا الحبّ فيرتبط بحجم الولاء الذي يُعبّر عنه الأتباع؛ لكي يستجلبوا عطف الإمام. وهذا الحبّ ليس مُتصنّعاً: مَنْ يملك فرصة الزيارة والمشاركة في المراسم الشيعية والتواصل مع أتباع المذهب سيُدرّك جيّداً مقدار الشغف والميل الذي يختزنه هؤلاء تجاه أئمّتهم. إنّ هذا الولاء العميق يولّد من الحبّ الذي يعبرّ الأئمة عنه من خلال التضحية بحياتهم من أجل أئمّتهم. كلّ الأئمة هم بنظر شيعتهم شهداء وكلّهم عانى الاضطهاد وتجرّع مرارة الموت. لذلك فإنّ تقديس الأئمة هو أيضاً من مندرجات العزاء: إنّ آلام الشيعة هو شكل من الاستجابة لمعاناة أئمّتهم من أجلهم. وفي الثقافة الشيعية تُشكّل المعاناة أرفع عنوان للحب. ولكن ينبغي أن لا تُفهم بمعنى ألمي (doloriste) وسالب محض، بل يتمّ إدراكها بوصفها هبة من الذات للذين تُحبّهم، ويتمّ تجاوزها من خلال أمل مُتقدّ بالرحمة الإلهية.

الاستجابة للشهادة: عزاء الموالين

عندما ندرك أنّ التدينّ الشيعي الإيراني مُمتزج بهذه الأخبار، نفهم جيداً المكانة المهمة لشعائر العزاء في المذهب الشيعي. فهذه الشعائر تكون بالأخصّ خلال شهر محرّم وسط جوّ من العويل والأنين على أهل البيت. وتترافق مع مواكب الجُلد [بالسوّط] حيث يضرب الرجال صدورهم بسياط معدنية. لُنْشِر في هذا الصدد إلى أنّ هذه الممارسات ليس لها عموماً طابع استعراضيّ حتى نُبرزه في وسائل الإعلام الغربية: فالضرب بالسوط ممارسة رمزيّة لا تؤدّي إلى الشعور بالألم. أمّا الممارسات التي تُسبّب تمزّق الجلد والتي ظهرت في الماضي فقد مُنعت في إيران بعد تأسيس الجمهورية الإسلامية، والصور التي تُظهر مشاهد من هذا النوع تصلنا من العراق وليس من إيران. لا تقتصر شعائر شهر محرّم على هذه الجوانب العزائية: فحالة الابتهاج الشعبي تتجاوز شعيرة الألم وتُقام الولائم الكبيرة للإيفاء بالتُندر والتمثيلات المسرحية المُرتبطة بواقعة كربلاء والتي تُعرّف باسم التعزية. ويمكن مقارنة هذه الأحداث بالمهرجانات الشعبية التي تُقام في عيد الفصح، والتي ما تزال تشهدها بعض البلدان الأوروبية، حيث يختلط العزاء باللّهو.

إنّ السلطة الإسلامية أجادت توظيف الإحساس الشعبي في الحثّ على الشهادة -التي جعلت منها قيمة سامية- خلال الحرب ضدّ العراق، وسعت إلى تحريك الشعور المتجدّر في قلوب الإيرانيين، والذي غدّته التهديدات التي أطلقها المجتمع الدولي (الحرب مع العراق بين عامي 1980-1988 والتدخلات الأميركية في منطقة الشرق الأوسط)، هذا الشعور الذي يُصوّر الإيرانيين أقلية مُضطهدة ومعزولة تقف بوجه عالم عدائيّ؛ لكي تحيا وتنهض بالقيم التي تؤمن بها. بالرغم من شعور الإيرانيين بأنّهم جزءٌ من العالم الإسلامي والوحدة الإسلامية، التي تطمح إلى نشر الرسالة الإسلامية في العالم أجمع، فإنّ معظمهم يعي تماماً خصوصيّة الدينيّة، ويضمّر شعوراً بالحقد والتحدّي تجاه السنة.

مذهب الطمانينية و "هجر العالم"

عالم فاسد بالضرورة

إنّ المصير الدراماتيكي للأئمة، ووضع الشيعة كأقلية عانت من الاضطهاد خلال قرون طويلة قبل أن يصبح المذهب الشيعي الدين الرسمي للدولة في إيران في القرن السادس عشر، بيرزان من خلال مظاهر أخرى للثقافة الشيعية. في التمثيلات التقليدية، يظهر العالم فاسداً وسيئاً. لم تستطع ذرية النبي ﷺ، التي تفوّقت على كلّ الصنف البشري، والمنبثقة من النور الإلهي، أن تبلغ بالإيمان الحقيقي والعدالة والسلام قمة الانتصار، فهذا العالم مكتوب عليه الشقاء حتى ظهور المهدي. إنّ الإيمان بإمكانية ولادة مجتمع إسلامي مثاليّ من خلال فرض التطبيق التام للقانون الإسلامي هو أمر يجهله الفكر الإيراني التقليدي، ولا يتناسب مع مقتضيات الجمهورية الإسلامية. وبالعكس، كلّ سلطة سياسية تُدرك بوصفها قطب الشرّ، وبأنّها تعتمد أساساً القمع والعنف. بعد استشهاد الحسين، انسحب أحفاده من الحياة السياسية ولم يعودوا يرغبون بقيادة الأمة الإسلامية، واكتفوا بقيادة روحية ودينية ضمن دائرة أتباعهم.

الفضاء العائلي بوصفه الملجأ الأخير

ضمن هذه التمثيلات ترسخ القيمة الخاصّة التي يمنحها الإيراني للفضاء الخاص. وهذه القيمة



ليست بالتأكيد وقفاً عليه، بل هي نتاج العالم السنّي أيضاً، وهي تتأسّس على طابع القداسة الذي يُشير إلى الفضاء العائلي. لِنُدكّر بأنّه في الإسلام، يُنظر إلى العالم الأنثوي والمسكن الذي يرمز إليه على أنّ لهما حرمة، ومن المقدّسات. إنّ الأهمية العظيمة الممنوحة للعقّة الأنثوية ولصون الألفة العائلية تستمدّ جذورها مباشرة من هذا التمثيل. لكنّ ازدياد الشيعة العميق للمجال السياسي والاجتماعي يُبرز على نحو خاص الانطواء على العالم الخاصّ.

إنّ هذا الموقف الأخير وقرّ بلا ريب ملجأ هاماً للمجتمع الإيراني في وجه النزعة الطهرية الأخلاقية والعديد من المحظورات التي فرضتها الجمهورية الإسلامية منذ عقود عدّة. وإنّ الإيرانيين الذين يتعدون عن الفضاء العام، الذي يسوده العنف والقمع، يحافظون داخل منازلهم على أسلوب وقيم الحياة التي توجد لديهم قبل الثورة الإسلامية. لذلك نجد في بعض أحياء العاصمة تناقضاً بين الجانب المتزمتّ والإسلامي للفضاء المدني «المرئي» وبين الدواخل، حيث تُخلع العبايات والأوشحة ويتحاذى الرجال والنساء بحريّة، وحيث تكون المشروبات الكحولية أمراً عادياً. حتى في الأوساط الاجتماعية التقليدية، تكون القواعد المقبولة في الفضاء الخاصّ غالباً أكثر مرونة من القواعد التي تفرضها السلطة، ويظهر المنزل بوصفه الملجأ الذي يحمي منها. إنّ التقية، سخرية القدر، هذه العقيدة الشيعية التي تُلزم الشيعي بأن يعيش عقيدته في السرّ في حال كان يُخيم على حياته جوّ من الاضطهاد، إنّها اليوم منهج يعتمده أغلب الإيرانيين في إطار مجتمع يزعم أنّه شيعي «بالكلية»: في مواجهة البذخ الطهري (puritain) للحكومة، يُدافع الإيرانيون ويوصلون سرّاً قيمهم الأساسية، سواء أكانت علمانيّة أو دينيّة. وحده الاستبطان الدنيوي للتعارض الضروري الذي لا يقبل الاختزال للمجالين الخاصّ والعامّ يسمح للشعب الإيراني بأن يُحافظ على نمط حياة هو، بنظر المراقب الغربي، فصاميّ في حدوده القصوى.

إنّ احترام المجال العائلي هو أيضاً أحد المقاييس الرئيسية، الذي من خلاله يُحكّم على السلطة. واليوم يتعاظم الاستياء من الحكومة الإسلامية في كلّ الأوساط، ليس فقط بسبب الأزمة الاقتصادية والفساد المُستشري وخنق الحريات، وإنما يؤخّذ عليها تدخلها المتماذي في الحياة العائلية الخاصّة ورغبتها بالتحكّم بوعي الأفراد.

الدور المركزي لرجال الدين

ثمة خصوصيّة أخرى للمذهب الشيعي ترتبط بالمكانة التي يشغلها رجال الدين، في حين لا نجد في العالم السنّي هرميّة إكليريكية موحّدة. يتميّز رجال الدين الشيعة بدرجة عالية من التنظيم، ويملكون سطوة وتأثير كبيرين على وعي المؤمنين. لكي نفهم هذه الخصوصية، ينبغي أن ندرس صورة الأئمة وعقيدة الإمامة التي تُحدّد العقيدة الشيعية.

رجال الدين، «أبدال الأئمة»

إنّ العلماء الشيعة، بوصفهم مُحدّثين ينقلون تعاليم الإمام، يستمدّون شرعيّتهم من سلطة الأئمة. وبعد غيبة الإمام الثاني عشر، طرأ تغيير تدريجي على دورهم. أمام الفراغ الذي نتج عن وفاة النبي ﷺ، الذي هو المُفسّر الأول للقرآن وهادي الأمة إلى جادة الحقيقة، يحتلّ احترام القواعد الإسلامية مكانة متنامية. وطوال القرون التي تلت الغيبة ازدهر الفقه الشيعي بعد أن وضع أسس الاجتهاد التي تحكّم حياة المؤمنين. وتحوّل علماء الشيعة تدريجياً من نقلة أحاديث إلى فقهاء، واستأثروا بحقّ الاشتهار بدلاً من الإمام. وعلى عكس السنّة الذين رفضوا منذ القرن العاشر الاجتهاد كمصدر للشرعية، يولي الشيعة الاجتهاد أهميّة فائقة.

عقيدة التقليد

بعد قرون عديدة من النزاع مع الأخباريين الذين دافعوا عن شرعية الأحاديث المروية عن الأئمة بوصفها مصدراً للشريعة، حَسَمَ أنصار الاجتهاد النزاع لصالحهم في القرن الثامن عشر. تُمثِّل عقيدة الاجتهاد المصدر الرئيسي لسلطة رجال الدين. ففي القرن التاسع عشر أصبح الاجتهاد منهجاً جاهزاً تماماً ضمن بلورة مفاهيم التقليد والمرجعية. فهذه المفاهيم طوّرت فكرة أنه يجب على كلِّ شيعيٍّ أن يستند في ما يتعلّق بالدين إلى كلام المجتهد والاقتداء به، فيكون المجتهد مرجع التقليد. إنّ الاجتهاد يمنح صاحبه سلطة كبيرة على مقلّديه، ليس لها نظير عند السنّة. بيد أنه ينبغي تخفيف أثر الاجتهاد على الشعب الإيراني، فقد تبلورت عقيدة الاجتهاد في الوسط العلمي في المدن العراقية المقدّسة، لكنّها انتشرت ببطء في إيران لا سيّما في المدن. سمح الاجتهاد بتفسير جزئيٍّ للسلطة الساحقة التي نجح آية الله الخميني في الاستئثار بها. وإضافة إلى الجاذبية التي ميّزت شخصية الخميني، ارتكزت سلطته على كونه مرجعاً، ويُعدّ اليوم مرجعاً للتقليد لشريحة كبيرة من الشعب الإيراني.

على نحو أعمق، يمكن أن نجد في الاجتهاد مقدّمات أيديولوجيا ولاية الفقيه، أو «حكومة رجال الدين» التي شكّلت أساس الجمهورية الإسلامية، والتي تنصّ على أن تكون السلطة السياسية بيد رجال الدين، بما أنّهم هم وحدهم المؤهلون لهداية المجتمع من خلال التأويل الصحيح للقرآن والشريعة. الكثير من الإيرانيين يعتقد أنّ الخميني على اتّصالٍ مُباشرٍ بالإمام الثاني عشر، وأنّه يُسَدِّده في القيادة، وهذا الاعتقاد انسحب أيضاً على خليفته آية الله الخامنئي، الذي هو اليوم مرشد الثورة في إيران.

رجال الدين والشريعة

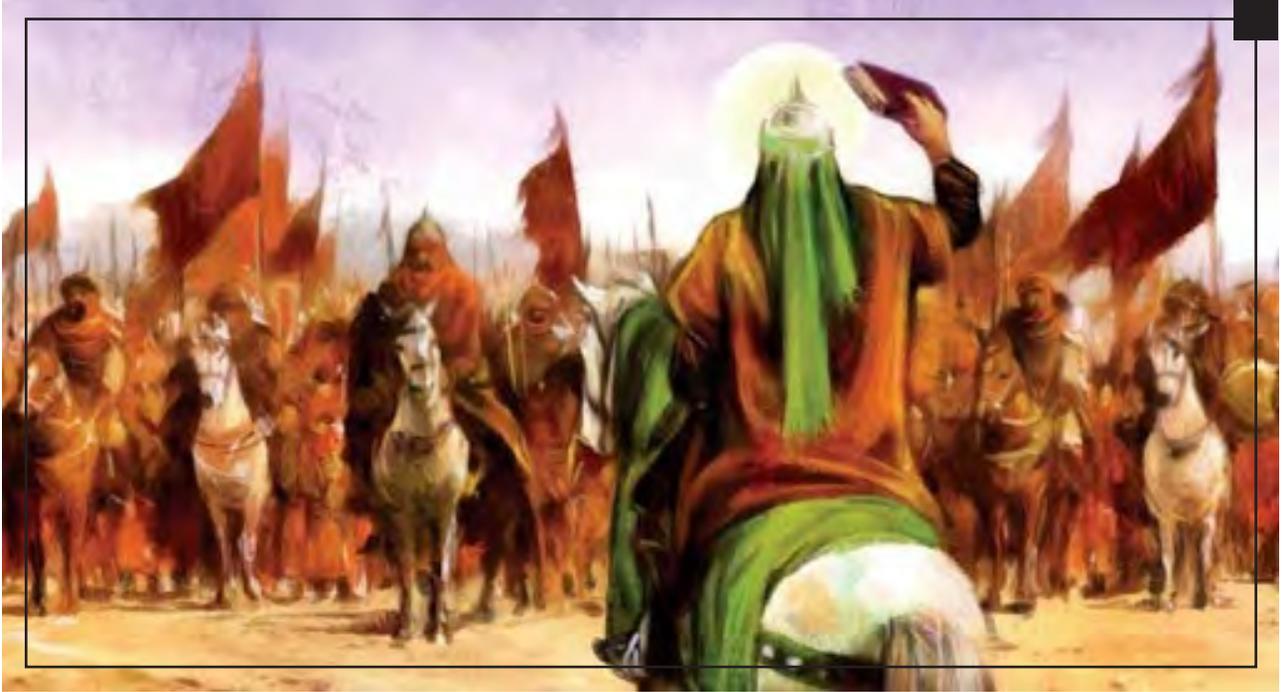
لُنْشِرَ إلى أنّ الاجتهاد والسلطة التشريعية التي توكل إلى رجال الدين، يترتّب عليهما البقاء على مسافة من الشريعة. فالشريعة لا تُدرَك بوصفها معياراً ثابتاً تماماً له قيمته في كلِّ زمان ومكان. إنّها على العكس ودائماً موضوع لتأويلات وإعادة تأويلات بحسب الظروف التاريخية والسوسيولوجية. ذلك كان الدور الرئيسي للأئمة، أمّا رجال الدين فليسوا سوى «أبدال» لهم. إنّ الثنائية الشيعية بين الباطن والظاهر تُحصّن هذا الاعتقاد؛ لأنّها تستلزم أن يأتي القرآن بمعنى خفيٍّ يكون فقط في متناول أصحاب الخبرة الذين يُخاطَبون على المستوى الشعبي بأنهم آيات الله. وبفضل العلم الباطني (ésotérique) سمح آيات الله لأنفسهم أن يُحدِثوا تغييراً في بعض المعايير الظاهرة للشريعة، وذلك من أجل تكييفها على نحو أفضل، بحسب المكان والزمان، مع الحقيقة الروحية العميقة.

بيد أنه يجب التأكيد على أنّ الاجتهاد والسلطة التشريعية لرجال الدين ليسا كافيين لتبرير ولاية الفقيه. ففي القرون الماضية، انحصرت سلطة رجال الدين في الدائرة الدينية من دون التحالف مع السلطة السياسية. وظهر الدين والسياسة بوصفهما مجالين مُنفصلين تماماً. إنّ الموقف الشيعي الأصلي هو موقف لا سياسي في جوهره، فإخفاق الأئمة كشف عن عدم إمكانية قيام مجتمع مثالي، وحتى إسلامي، وعن فساد السلطة الذي لا يمكن السكوت عليه. لذلك لا يمكن أن نفهم فهماً كاملاً الأيديولوجيا المُطبّقة اليوم في الجمهورية الإسلامية من دون أن نأخذ بالحسبان الانقلابات التي شهدتها الفكر الشيعي خلال القرن العشرين تحت تأثير الأفكار السياسية والثورية والإسلامية، التي اختمرت في أنحاء من العالم.



كربلاء (10 أكتوبر 680). رفرقة جناحي الفراشة

KERBALA (10 OCT. 680). LE BATTEMENT D'AILES DU PAPILLON⁽¹⁾



لا تزال قراءة المذهب الشيعي عند الكتّاب الغربيين مضطربة، وعلى الرغم مما وصلنا إليه من توافر للمعلومات إلا أنّ اختلافات جذريّة اتّسمت بها القراءات الغربيّة للشيعيّة، وخاصّة القراءات المتعلّقة بواقعة كربلاء. ومن هذه القراءات نجد مقالة للكاتب الفرنسي بيير رويير (Pierre Royer)⁽²⁾، والتي نُشرت في مجلّة (Conflits)⁽³⁾ بتاريخ 4 مارس 2020.

افتتح رويير مقالته بسؤال عن تأثير الفراشة، الصورة التي استخدمها إي. لورنز: هل يمكن أن يؤدي رفرقة أجنحة الفراشة في البرازيل إلى حدوث إعصار في تكساس؟ ويجب على ذلك بالقول: تاريخياً، هناك أحداث قليلة توضّح هذا التأثير بشكل أفضل، ومنها «معركة» كربلاء. هذا في الواقع ليس حدثاً، بل مجزرة أكثر من معركة، تنطوي على قوّة عاملة غير مهمّة تقريباً، يبدو أنّ نتيجتها قد تمّ تحديدها مسبقاً، ومع ذلك فهي مصدر زلزال جيوسياسي كبير.

(1) <https://www.revueconflits.com/abonne-kerbala-moyen-orient-islam-pierre-royer/>

(2) أستاذ متخصص في التاريخ، يدرّس في معهد كلود مونيه، مجالات اهتمامه هي تاريخ الصراعات خاصّة في القرن العشرين، والجغرافيا السياسية للمحيطات.

(3) مجلّة يتمّ نشرها من قبل شركة ANTEIOS للنشر والصحافة، وهي شركة ذات مسؤولية محدودة نشطة منذ 6 سنوات، مقرّها في باريس، وهي متخصصة في صناعة الصحف ونشرها.

لا تزال توابع كربلاء محسوسة حتى اليوم منذ أن أوضحت الانقسام داخل الإسلام («الفتنة» باللغة العربية) بين الشيعة والسنة الذي نراه مستمراً في الشرق الأوسط، وخاصة في العراق. وكأنَّ خطَّ التصدّع لم يتحرّك منذ سنة 1335.

نزاع حول الخلافة لا نهاية له

تقع كربلاء على مقربة من بغداد. هناك تم اعتراض الحسين، حفيد الرسول، مع 72 من مؤيديه وأفراد أسرته، أثناء ذهابه إلى الكوفة، العاصمة السابقة لوالده علي أثناء خلافته (656-661)، لقد وعده السكان بأن يخضعوا لأوامره. يرغب الحسين في الاستفادة من وفاة معاوية؛ للتشكيك في انتقال الخلافة وراثته من معاوية إلى ابنه يزيد. لكن يزيد وجيشه قطعوا وصول الحسين إلى نهر الفرات. القوآت الصغيرة لا تحظى بفرصة وتحوّل المواجهة إلى مذبحة صريحة للحسين وعائلته.

وهكذا يبدو أنه وضع حدًا لنزاع نصف قرن حول خلافة النبي محمد الذي غادر مكة عام 622 (هجري) من أجل الهروب من العداء الذي أثارته دعوته إلى التوحيد المتصلّب، بينما بقيت هناك القبائل العربية تمارس الشرك بشكل رئيسي. وبعد ثماني سنوات، عاد محمد منتصراً، وحشد خصومه السابقين بما في ذلك قبيلة قريش العظيمة، التي كانت تُسيطر بالفعل على مكة. ودخلت معظم قريش إلى الإسلام، بما في ذلك معاوية، الذي أصبح هو نفسه خليفة للرسول.

توفي محمد عام 632م، ولم يترك أيّ تعليمات أو أيّ ابن؛ من سيكون «خليفته»؟ نشأ صدام بين مدرستين: المدرسة التي تفضّل التراث الروحي تريد أن يتم اختيار الخليفة من آل بيت النبي، حيث الذكر الوحيد الباقي هو علي، ابن عم محمد، أحد الأوائل الذين اعتنقوا الدين الجديد، وزوج ابنة محمد المفضّلة فاطمة، التي أنجبت منه ولدين هما الحسن والحسين، والشخص الذي يفكر في العبء السياسي والعسكري لإدارة إمبراطورية تنمو بشكل كبير، والمدرسة الثانية تريد اختبار الشخص الأنسب من بين المجتمع ويكون عضواً في عشيرة قويّة. يسود هذا المنطق الأخير، والخلفاء الثلاثة الأوائل هم من قريش من العشيرة الأمويّة، لكن عثمان الخليفة الثالث أُغتيل عام 656 م خلال ثورة ينسبها الأمويون إلى العلويين، أنصار علي (الذي سوف ندعوهم فيما بعد بالشيعة).

أصبح علي أخيراً خليفة، لكن واجه الأمويين خلال معركة صفين (657م)، واضطرّ إلى التحكيم في النهاية، الأمر الذي جعل بعض مؤيديه يثور عليه: وهكذا أضيف إلى الفتنة الأولى فتنة أخرى تمثّلت في الخوارج، الذين يعتقدون بأنّ علياً مهزلقاً؛ لأنّه يدافع عن خلافة انتقائيّة ديمقراطيّة. علي يجمع بضراوة هذا التمرد، لكن تمّ اغتياله أخيراً على يد أحد الخوارج عام 661م، بعد قرار التحكيم أعلن معاوية نفسه خليفة في عام 660م. وتخلّى ابنا علي عن الطعن في ترشيحه، خاصّة وأنّ والدهما فقدّ العديد من أنصاره في صفّين. لقد تطلّب موت معاوية إيقاف طموحات الحسين ... عبثاً كما رأينا.

ثم جاء العنوان الثاني في المقالة تحت عنوان: من عهد الأمويين إلى «القرن الشيعي». غير أنّ تتمة المقالة ليس متاحاً حالياً.



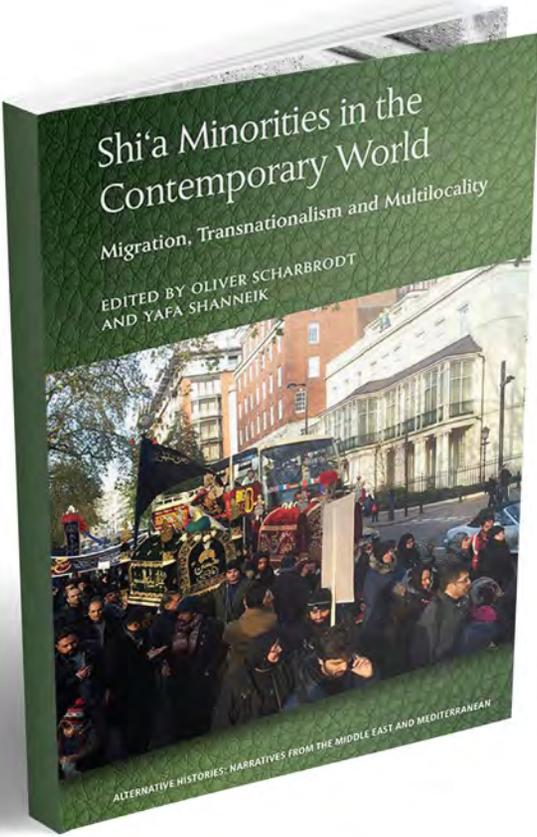
إصدارات

- كتاب: الأقليات الشيعية في العالم المعاصر الهجرة، والعبور بين القوميات والتعددية
- المدارس الدينية الشيعية في الماضي والحاضر
- المصالحة السنية - الشيعية في ماليزيا
- تأثير علم القيم الشيعي في ثقافة ملايو
- حماية قلعة الإسلام في العصر الحديث: حالة المجتهدين الشيعة وحوزة النجف في أوائل القرن العشرين بالعراق
- في مدح القليل: دراسات في الفكر الشيعي والتاريخ
- لقاءات مع الإمام الغائب في الإسلام الشيعي الإثني عشري الأولي وما قبل الحديث
- مجلة الدراسات الشيعية
- من الجزئي إلى الكلي السلطة الفقهية عند الشيعة الإثني عشرية

كتاب: الأقليات الشيعية في العالم المعاصر

الهجرة، والعبور بين القوميات والتعددية

SHI'A MINORITIES IN THE CONTEMPORARY WORLD
MIGRATION, TRANSNATIONALISM AND MULTILOCALITY⁽¹⁾

<p>Shi'a Minorities in the Contemporary World Migration, Transnationalism and Multilocality</p>	<p>عنوان الكتاب: الأقليات الشيعية في العالم المعاصر الهجرة، والعبور بين القوميات والتعددية</p>
	<p>تحرير: أوليفر شاربرودت (Oliver Scharbrodt)، أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة تشيستر، وهو مؤلف كتاب «الإسلام والعقيدة البهائية: دراسة مقارنة لمحمد عبده وعبد البهاء عباس»، ومحرر الكتاب السنوي للمسلمين في أوروبا.</p> <p>يافا شانيك (Yafa Shanneik): محاضر في الدراسات الإسلامية بجامعة برمنغهام. تبحث في ديناميات ومسارات الجنس في الإسلام في سياق المساحات المعاصرة في الشتات والمرأة المسلمة عبر الوطنية.</p>

(1) <https://edinburghuniversitypress.com/book-shi-a-minorities-in-the-contemporary-world.html>.

لغة الكتاب	الإنجليزية
السلسلة	-
شكل الكتاب	ورقي-رقمي
تاريخ النشر	جوان 2020
عدد الصفحات	344
رقم الطبعة	1
الناشر	<u>Alternative Histories</u>
ISBN	Hardback: 9781474430371

صدر كتاب «الأقليات الشيعية في العالم المعاصر الهجرة والعبور بين القوميات والتعددية» في جوان 2020، بتحرير كل من أوليفر شاربرودت ويافا شانيك، وهو كتاب ذو أهمية بالغة تظهر من خلال ما يقوم بعرضه من وجهات نظر مقارنة جديدة بشأن الأقليات الشيعية خارج العالم الإسلامي، خاصة مع ظهور الجاليات المسلمة والأقليات في أوروبا وأميركا الشمالية وأجزاء أخرى من العالم عقيب تدفقات الهجرة العالمية في القرن العشرين. ويقدم هذا الكتاب مجموعة من وجهات النظر المقارنة الجديدة حول تجارب الأقليات الشيعية خارج ما يُسمى «قلعة حضارة المسلمين» (الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ووسط وجنوب آسيا). ويتناول أيضاً مجتمعات الأقليات الشيعية في أوروبا وأميركا الشمالية والجنوبية وأفريقيا جنوب الصحراء الكبرى وشرق آسيا، كما أنه يناقش التحديات الخاصة التي تواجهها هذه المجتمعات باعتبارها «أقلية داخل أقلية».

وتتمثل الملامح الرئيسية للكتاب في النقاط الآتية:

- يقدم رؤى مقارنة للمجتمعات الشيعية في جميع أنحاء العالم، محددة في سياقات الأقلية المسلمة.
- يقدم مساهمة مهمة في فهم الديناميات العالمية للإسلام الشيعي المعاصر.
- يوضح كيف تعمل شبكات الشيعة العابرة للقوميات في سياقات الأقليات المسلمة.
- يناقش تأثير الأحداث في الشرق الأوسط على الأقليات الشيعية في جميع أنحاء العالم.
- تشمل دراسات الحالات دراسة إثنوغرافية متعمقة للطائفة الشيعية في بوينس آيرس؛ نظرة متعمقة في التحديات الفريدة للمسلمين الشيعة في سريلانكا؛ اتصالات الشيعة في كمبوديا بإيران؛ وحدود الخلافات المذهبية بين المسلمين الشيعة في ألمانيا.

وقد توزّعت دراسات الكتاب على المنوال الآتي:

المقدمة

1. «وطني هو حسين»: عبور القوميات وتعددية التواجد في سياقات الشيعة، (أوليفر شاربرودت ويافا شانيك) أ. تحديد أماكن تواجد الأقليات الشيعية عالمياً
 1. أداء الشيعة بين جاوة وقم: التربية والطقوس، (كيارا فورميتشي)
 2. قلبي الراحل حسين الشهيد: الهوية والسياسة والدين في المجتمع الشيعي في بوينس آيرس، (ماري سول غارسيا سوموزا ومايرا سوليداد فالكارسيل)
 4. البكتاشية (Bektashism) كنموذج واستعارة لـ «إسلام البلقان»، (بيرو ركسهيبي)
 5. عيش النجف في لندن: الشتات وموضوع مذهب الشيعة العراقيين، (إيمانويل ديغلي إسبوستي)
- ب. مسارات الشيعة العابرة للقوميات
 6. الشبكات العالمية، الاهتمامات المحلية: التحقيق في تأثير التقنيات الناشئة على الزعماء الدينيين والتابعين لهم، (روبرت ج رجز)
 7. «لا زلنا نشاق لزيب»: الشيعة في جنوب آسيا والأوطان العابرة للقوميات تتعرض للاعتداءات، (نور زهرة الزيدي)
 8. من مجتمع ديني مهمّش في إيران إلى مؤسسة المصلحة العامة التي دعمتها الحكومة في باريس: ملاحظات حول «مؤسسة إستاذ إلهي»، (روسويثا بدري)
 - ج. تقوى العلويين وإنسيابية الحدود المذهبية
 9. أفكار متحرّكة: نقل المعرفة الشيعية في سريلانكا - (هارون راسيا)
 10. حدود المذهبية: الشيعة وأهل البيت بين الجاليات التركية المهاجرة في ألمانيا، (بنجامين وينك)
 11. «لأنّ علي هو سلفنا»: مسارات سيّاد شيعة الشام من كمبوديا إلى إيران، (أميكو ستوك)

الخاتمة

12. الشيعة العالمية والتحوّلات، (مارا أ. ليتشتمان)



المدارس الدينية الشيعة في الماضي والحاضر

PASSÉ ET PRÉSENT DES ÉCOLES RELIGIEUSES CHIITES⁽¹⁾



صدر العدد الجديد من مجلة الواحة (Oasis)⁽²⁾ الصادر في 2020/07/14، والمعنون بـ «تعلّم الإسلام: أثار التهديد الجهادي اهتمامًا متجددًا بمحتوى التعليم الديني. كيف وأين يتشكّل المسلمون؟ وقد تضمّن مقالةً للكاتب أليساندرو كانسيان (Alessandro Cancian)⁽³⁾ جاءت تحت عنوان: «المدارس الدينية الشيعة في الماضي والحاضر». وقد قسّم الباحث دراسته إلى أربعة عناوين أساسية، وهي: الشيعة ونقل المعرفة؛ من مدرسة القرون الوسطى إلى الحوزة المعاصرة؛ النظام التعليمي للحوزة العلميّة؛ الحوزة العلميّة اليوم.

يرى الباحث أنّ المعرفة في الشيعة يتمّ نقلها بشكلٍ رئيسيٍّ من خلال الحوزة. وقد تركّزت هذه المؤسسة على العلاقة الشخصية بين المعلّم والتلميذ، ومن ثمّ تحوّلت، على مدى عشرة قرون من الوجود، بشكلٍ كبيرٍ؛ لتصبح مركز تدريب عالي التخصص. إذا بقيت النجف في العراق قطبًا أساسيًا للدراسات الدينية، وإذا استفادت قم في إيران من الموارد التي أتاحتها الجمهورية الإسلامية، فإنّ التعليم الشيعي اليوم يبدو أنّه موجّه نحو تدويل محدّد.

(1) <https://www.oasiscenter.eu/fr/passe-et-present-des-ecoles-religieuses-chiites>

(2) مجلة نصف سنوية تصدر منذ سنة 2005، تكمن مهمتها في تعزيز المعرفة المتبادلة واللقاء بين المسيحيين والمسلمين، مع إيلاء اهتمام خاص لواقع الأقليات المسيحية في البلدان ذات الأغلبية المسلمة، وتصدر في إيطاليا.

(3) أليساندرو كانسيان باحث أول مشارك في وحدة الدراسات القرآنية في معهد الدراسات الإسماعيلية بلندن. حصل على الدكتوراه من جامعة سينا في الأنثروبولوجيا، مع التركيز على الأنثروبولوجيا الثقافية للمجتمعات الإسلامية وأنثروبولوجيا الدين.

وفي تعريف الحوزة يقول الباحث: في العالم الديني للإسلام الشيعي، يشير تعبير «الحوزة العلمية» اليوم إلى كل من المؤسسة المسؤولة عن تنظيم وإدارة المراكز التعليمية الدينية، وتُترجم أحياناً بمصطلح «مدرسة اللاهوت» أو «الكلية اللاهوتية»، بالقياس إلى العالم الكاثوليكي، إلا أن هذا التعبير ليس صحيحاً تماماً: من ناحية، لا يمكن مقارنة الكهنوت المسيحي بالسلطة التعليمية التي تُعلّم العلماء أساساً، ومن ناحية أخرى، تركز المؤسسات بشكلٍ مختلفٍ على الموضوعين الرئيسيين لتدريسهما، وهما على التوالي اللاهوت والفقه.

ويضيف الباحث في الصدد نفسه إلى أن ترجمة «المدرسة القرآنية»، التي تشير بشكلٍ خاصٍ في وسائل الإعلام الغربية إلى مؤسسات التكوين الديني في العالم الإسلامي، وبالتالي أيضاً، إلى الشيعة، تبدو غير ملائمة؛ لأنه إذا كان صحيحاً أن المدارس القرآنية، المكرّسة في المقام الأول للمعرفة الأساسية وتحفيظ القرآن، موجودة في جميع أنحاء العالم الإسلامي، فلا بدّ من اعتبار المدرسة كمؤسسة للتعليم العالي توفر مجموعة متنوعة من الموضوعات، وتشكل العلوم القرآنية جزءاً منها. وهذا صحيح بشكلٍ خاص في حالة المدرسة الشيعية، حيث تحتل المجموعة التقليدية للأقوال الموثوقة -الحديث والرويات- موقعاً مهماً مثل الكتاب، إن لم يكن في بعض الأحيان أكثر.

الشيعة ونقل المعرفة



تميل المصادر الشيعية المعاصرة، مع استثناءات قليلة، إلى تتبع فكرة الحوزة في أصول الإسلام، بطريقة مغلوبة تاريخياً، والتي، على العكس من ذلك، قد تحوّلت بمرور الوقت لتصبح مؤسسة حقيقية للتعليم العالي المتخصص والمتنوع للغاية. ومع ذلك، إذا كان التأكيد المتكرّر في المصادر السابقة على أن «الحوزة الأولى كانت المسجد النبوي بالمدينة المنورة»، يبدو سطحياً إلى حدّ ما من وجهة نظر تاريخية، فهذا لا يمنع حقيقة أن نموذج نقل المعرفة الذي يمثله محمد (والأئمة الاثني عشر للمذهب الشيعي) يبقى مثلاً نموذجياً خلال تاريخ تطوّر المدرسة.



وبهذا المعنى، فإنّ المدرسة شخصيّة: أي إنّها تتضمّن النقل المباشر من المعلّم إلى التلميذ؛ لتشكيل سلسلة كاملة قدر الإمكان من «إجازة نقل» العلوم الدينيّة المختلفة. بما في ذلك في الحوزة العلمية المعاصرة: على الرغم من أنّ المستويات التمهيدية تميل إلى أن تكون مؤسّسية وتخضع لرقابة رسميّة وبيروقراطية من قبل المعهد (امتحانات أو شهادات)، تطلّ المستويات العليا تركّز على التدريس وعمليّة التدريس الفردي من قبل عالم مجتهد.



إن حجر الزاوية في عقيدة الشيعة الإثني عشرية، هو الوجود المستمر للإمام، الذي يعيّنه الله مباشرة، ويتمّ اختياره من سلالة النبي محمد من خلال صهره وابن عمه علي بن أبي طالب وابنته فاطمة: هو شخصيّة ليس لديها التوجيه الرسمي للمجتمع فحسب، بل هي أيضاً مستودع المعرفة بالواقع النهائي لكلّ المخلوقات... مثل الإمام الثاني عشر والأخير، الذي تزعم العقيدة الشيعيّة أنه دخل في

«الغيبه» في العام 883م، ويُعتبر على قيد الحياة ومقدّر له العودة «في آخر الزمان». في الشيعة، يقوم نقل المعرفة على حضور الإمام الغائب، الذي يضمن الوعد المنصوص عليه في الحديث: «العلماء ورثة الأنبياء».

ولذلك فإنّ المعرفة المنقولة في الحوزة هي معرفة مقدّسة بقدر ما يضمنها الإمام. وبالتالي، فإنّ العلماء، أثناء تصرّفهم في سياقٍ موجه رسمياً نحو اكتساب معرفة قانونيّة دقيقة للغاية، يتمّ استثمارهم في الوقت نفسه مع سلطة دينيّة مقدّسة: هدف الفقيه هو أن يصبح «عالماً إلهياً» (العالم الرباني). يجب أيضاً أن يُؤخذ في الاعتبار أنّ الوظيفة الباطنيّة الأساسيّة للإمام في التشيع لا تنفصل عن الطبيعة المزدوجة للمعرفة الدينية: فلكلّ معرفة جانبٌ ظاهريّ، وجانب باطنيّ. ويترتب على ذلك أنّه حتى العلم الخارجي والشكلي والظاهري مثل الفقه، وهو الموضوع الرئيسي للدراسات في الحوزة، يؤثر في التحوّل الروحي للمؤمن، وبالتالي له جانب باطني. إن تأويل المصادر القانونيّة يتغلغل في نقل المعرفة ليس فقط في الأمور التي تبدو أكثر وضوحاً فيها، مثل التفسير القرآني، ولكن على جميع المستويات. إن مجموعة أقوال الأئمة، وهي من أهم مصادر الفقه، هي احتياطي لا ينضب من التعاليم الباطنية والعقيدة الروحيّة.

من مدرسة القرون الوسطى إلى الحوزة المعاصرة

تحت هذا العنوان يتعرّض الباحث إلى تطوّر الحوزة العلميّة؛ حيث إنّ نموذج نقل المعرفة عند الشيعة يتمّ توفيره بشكلٍ أساسيٍّ من خلال الأساليب التقليديّة المنسوبة إلى الأئمة، الذين جسّدوا -طالما كانوا فاعلين ويمكن بلوغهم-



السلطة النهائيّة في المسائل القانونيّة، أي يمكن للمؤمن الوصول إلى الإمام في ذلك الوقت. أمّا بعد غيبة الإمام الثاني عشر، نشأ السؤال حول المعايير القانونيّة وتحديدّها؛ إذ واجهت الجماعة ظروفًا جديدةً لم تكن موجودة حتى نهاية القرن التاسع ميلادي. وعليه، شكّلت طبقة من الفقهاء اللاهوتيين حول الإمامين محمد الباقر وجعفر الصادق (القرن الثامن ميلادي)، ومن المدينة المنورة، أشرق العلم في المراكز التي تعيش فيها الطوائف الشيعيّة

الرئيسيّة، بما في ذلك قم في بلاد فارس وبغداد والكوفة والحلّة في العراق. تشير المصادر إلى أنّه مع بدء التخصص في المدرسة في مؤسّسة حقيقيّة، مع المساحات والمباني المخصّصة لها، بما في ذلك سكن الطلاب، لا تختلف نسختها الشيعيّة عن تلك التي تنتشر عند الأعليّة السنيّة. يُعتقد تقليدياً أنّ المدرسة الشيعيّة الأولى بالمعنى الدقيق للكلمة هي تلك التي أسّسها في النجف الفقيه العظيم ورجل الدين الشيخ الطوسي (ت 1067): كان يعمل، وليس من قبيل المصادفة، في السياق العالمي للخلافة العباسية في الوقت الذي كانت فيه تحت وصاية سلالة بويه الشيعية، والتي سجّلت تحوّلًا عقليًا في الفقه واللاهوت الشيعيين. وفي هذا الوقت كُتبت معظم الرسائل القانونيّة الكلاسيكية للشيعيّة، وتوطّدت العقيدة الشيعيّة حول تكوين طبقة منظمة من فقهاء اللاهوت، والتي كانت تميل بطبيعتها الحال إلى الاحتراف. وفي وقت لاحق، وقبل تثبيت السلالة الصفويّة في بلاد فارس في بداية القرن السادس عشر ميلادي، أصبح القطبان الرئيسيان للفقه الشيعي -وبالتالي مراكز تعليميّة مهمّة- الحلّة في العراق وجبل عامل في لبنان اليوم. سيقوم هذان القطبان، مع مدارس البحرين، بتشكيل الخزّان الأساسي للفقهاء، الذين سيدعوهم الحكام الصفويون عندما يحتاجون إلى إضفاء الشرعية الدينيّة والأساس القانوني لحكمهم.

مع تشييع بلاد فارس بسبب الحكم الصفوي، تحوّلت العديد من المدن الإيرانيّة خلال معظم القرن السابع عشر إلى مراكز مهمّة لإنتاج المعرفة الشيعيّة ونقلها ونشرها، وأصبحت تنافس المدن العراقيّة المقدّسة. وهكذا فإنّ الطبيعة «المرنة والشاملة والشخصيّة» لأسلوب التدريس الشيعي الخصائص التي لا تزال تحتفظ بها حتى اليوم- ضمنت إعادة إنتاج المعرفة ونقلها في بلاد فارس.



خلال هذه الفترة، كانت مدن أصفهان، عاصمة المملكة، ومدينة مشهد، مكان الحج بسبب وجود مرقد علي الرضا، الإمام الثامن للشيعة المدينة التي روج لها الحكام الصفويون بشكلٍ رئيسيٍّ كمركزٍ للحج الشيعي في بلاد فارس، على وجه الخصوص؛ ليكون بمثابة ثقل مواز للحج الشرعي إلى مكة والمدينة، اللتين كانتا تحت سيطرة المنافسين العثمانيين. وبقيت هيبة النجف وكربلاء في العراق على حالها حتى عندما تغيرت التوازنات في المنطقة لأسباب سياسية، مثل الغزو الأفغاني لبلاد فارس وسقوط الصفويين في بداية القرن الثامن عشر، مع الفوضى التي أعقبت ذلك والتي أدت إلى هجرة فكرية من إيران إلى العراق. وفي القرن التاسع عشر عادت قم إلى الريادة الفكرية، بعد أن أعاد الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي إحياء الدرس الديني هناك، وارتفع عدد الطلاب وقرّر العديد من العلماء البارزين الانتقال إلى هناك. ونمت مركزية قم في العالم الشيعي بشكل أكثر قوة خلال القرن العشرين؛ لسببين رئيسيين: وجود قيادة أهم سلطة دينية اثني عشرية في ذلك الوقت، وهو آية الله السيد حسين البروجوردي، من عام 1945 إلى عام 1961. والدور الذي لعبته ثورة 1979: زعيمها الكاريزمي روح الله الخميني، الذي كان طالبًا في قم. وقد تمّ التأكيد على هذه المركزية بشكل أكبر بعد الثورة، عندما جعلت جمهورية إيران الإسلامية قم بطريقة ما العاصمة الفكرية/الدينية للدولة.

النظام التعليمي للحوزة العلمية



في قلب المثل الأعلى التربوي للحوزة تكمن العلاقة الشخصية بين المعلم والطالب. وأدى هذا المفهوم إلى ولادة معدّل معين من الإبداع والتمايز بين الأنماط والحرية. لكنّ المؤسسات التعليمية للشيعة الإثني عشرية تشترك في بعض السمات التعليمية العامة التي تشكّل تنويجًا لتقليد يعود إلى أكثر من عشرة قرون.

الطلاب، في معظم الحالات، يتقاضون راتبًا وإقامة من مرجع التقليد المسؤول عن مدرسة واحدة. على

الرغم من التبعية التي يشكلها الراتب، والتي تربط بطريقة معيّنة الطالب بالمدرسة، فإنّ هذا الأخير حرّ في اختيار معلّمه والمعهد الذي يريد الدراسة فيه. ومع ذلك، يمكن القول إنّ البيروقراطية المتزايدة لنظام الحوزة جعلت هذه الحرية نظرية إلى حدّ ما.

ومن ثم يقوم الباحث بتفصيل المراحل الدراسية في الحوزة وطريقة التدريس والمواد التي تقدّم للطالب خلال كلّ مرحلة (المقدمات والسطوح والبحث الخارج).

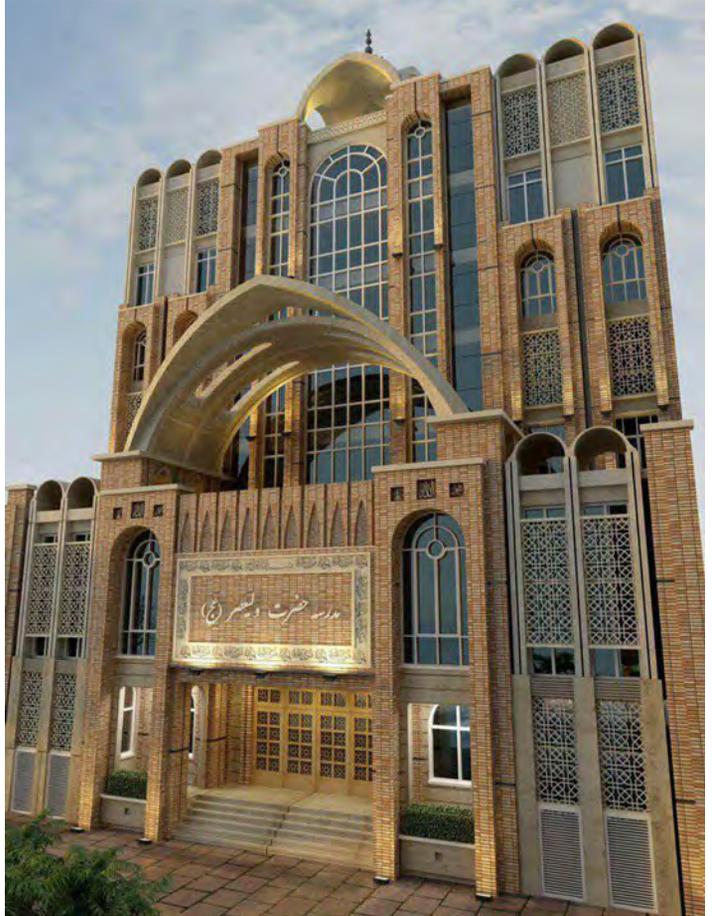
الحوزة العلمية اليوم

يرى الباحث أنّ التعليم الديني الشيعي اليوم يتّجه نحو التدويل المقرّر، ومنظمة تتّجه بشكل متزايد نحو الاندماج مع العالم الأكاديمي. إذا بقي النّجف قطباً أساسياً للدراسات الدينيّة الشيعيّة، فإنّ الموارد التي أتاحها جمهورية إيران الإسلاميّة، التي تحتلّ كوادرها المدرّبة في قم أدواراً رئيسيّة في هياكل الدولة، تلعب دوراً مركزياً بلا شك في تعزيز النظام بأكمله وتطويره.

اليوم، في إيران، تتمركز إدارة نظام التدريب الديني في جميع أنحاء البلاد، وتحت سيطرة منظمة تسمى «مركز إدارة الحوزات الدينيّة»، ومقرّها مدينة قم. من خلال مكاتب عدّة، تتعامل مع أمور تتراوح من تعريف البرامج إلى اختيار الطلاب والبحث والنشر وتنظيم العلاقات مع الجمهور ومع المؤسّسات الأخرى، إلى الأسئلة الأخلاقية والروحية، وصولاً إلى نشر الثقافة الدينيّة والعلاقات الدوليّة. لا شك في أنّ النظام التقليدي يستمرّ في جانبه غير الرسمي، ولكن الاتجاه الذي بدأه التعليم هو زيادة التوحيد القياسي حول هيكل يوفّر عشرة مستويات.

الثلاثة الأولى تشمل مقدّمات النظام التقليدي، وتشمل الأدب العربي والمنطق والعقيدة والأخلاق والتفسير وتاريخ أصول الإسلام؛ من السنة الرابعة إلى العاشرة، والتي تتوافق مع المستويات الأربعة من النظام التقليدي، كلّ مستوى وكلّ عام دراسي يتوافق معه، مكرّس لتعميق نصّ قانونيّ معيّن، مع زيادة التعقيد والصعوبة؛ وبعد الانتهاء من المستويات العشرة، من المتوقّع المشاركة على مستوى البحث الخارج لمدة أربع سنوات، مع كتابة أطروحة. أيضًا في إيران، وفي قم على وجه الخصوص، هناك سلسلة كاملة من المعاهد التابعة للحوزة والتي تهتمّ بنشر المعرفة.

أمّا الدعوة إلى تدويل الحوزة المعاصرة، فيتجلّى في اتفاقيات التعاون بين العديد من المعاهد مع جامعات العالم الإسلاميّ والعالم الغربيّ، وتأسيس حوزة حقيقيّة خلال العقود الماضية في البلدان غير الإسلاميّة، مثل برنامج الدراسات الدينيّة الذي تقدّمه حوزة المعهد الإسلاميّ بلندن، ومعهد المهدي في برمنغهام، ومدرسة أهل البيت الإسلاميّة التي تخدم في منطقة شيكاغو وأميركا الشماليّة بشكل عام.



المصالحة السنية-الشيوعية

في ماليزيا

SUNNI-SHIA RECONCILIATION IN MALAYSIA⁽¹⁾

في مقال للكاتب الماليزي محمد فيصل موسى⁽²⁾ ضمن كتاب «أصوات بديلة في جنوب شرق آسيا المسلمة: الخطابات والصراعات»، يتطرق الكاتب إلى الفتوى التي جعلت من الإسلام السنّي الدّين الرسمي لماليزيا، وارتدادات هذه الفتوى على الوضع الشيعي هناك، مقدّمًا بذلك مجموعة من العلاجات والتحديات الممكنة.



وجاء في مقاله، أنّ الفتوى التي صدرت في ماليزيا عام 1996، وجعلت من الإسلام السني دينًا رسميًا لماليزيا، شكّلت نقطة تحوّل محوريّة مهّدت الطريق أمام الجهود اللاحقة في «تغريب الشيعة واعتبارهم أقلية بل مجموعة أخرى»، ومن خلال ذلك وقع التوجّه إلى تشويه سمعة حقوقهم الإنسانية وحرمانهم منها. إنّ الفتوى كانت مبادرة فيدراليّة - وليست دولة- كان يجب أن تُرفع أجراس التحذير بشأن تجاوز الحكومة

المركزية لحدودها والتعدّي على الولاية القضائية التي تمتلكها حكومات الولايات بشأن الإسلام. تطرّق الجدل إلى الاختلافات التاريخية بين السنة والشيعة، أو «تعامل الطوائف كظاهرة دينية»، وأسفر عن انحياز هائل ضدّ الشيعة.

يعرض الكاتب محمد فيصل موسى للمذهب الشيعي وتنوّعه من زيدية وإسماعيلية وإمامية إثني عشرية في مختلف البلاد، من إيران، والعراق، والعربية السعودية، ولبنان، وباكستان الهندية، وجنوب شرق آسيا. ويبني أساس العدل والعقل والإعتقاد بخلافة علي بن أبي طالب بُعيد وفاة النبي محمد. ويوضح بأنّ المذهبين يتفقان على التوحيد والنبوة والمعاد.

(1) <https://shiism.wcfia.harvard.edu/publications/sunni-shia-reconciliation-malaysia>.

(2) د. محمد فيصل موسى المعروف باسم «فيصل طهراني»، باحث ماليزي سمي بـ «مؤلف ماليزيا النائر» تخرج من كلية الشريعة في جامعة مالايا عام 1998 ونال درجة الماجستير في الأدب المقارن عام 2000 ومن ثمّ نال الدكتوراه في الأدب المقارن عام 2010.

كما يشير الباحث إلى النقطة الزمنية المفصلية في الثورة الإيرانية عام 1979، حيث بدى واضحاً من خلال الإحصاءات انتشار الفكر الثوري بين المثقفين أولاً، وفي المناطق الحضرية ثانياً بشكلٍ حصريٍّ، بل بدا واضحاً التحول إلى المذهب الشيعي بين الشبيبة السنّة من ناشطين سياسيين وأكاديميين ومن المعجبين بالأخوان المسلمين لا سيّما الشبيبة الذين ولدوا بعد عام 1979؛ ذلك لأنّ فكر الإمام الخميني دعى إلى العمل، وأن يأخذ رجال الدين الأمر بأيديهم على أن تكون الحكومة على نمط النبي محمد.

ومن أجل تصحيح ما ارتكبهته حكومة نجيب من أخطاء، شكّل مهاتير محمد مجلس أعيان من النخبة: "The Council



of Eminent Persons" (CEP) لمساعدة الحكومة الجديدة في وضع السياسات والبرامج خلال المئة يوم الأولى. ثم انبثق عنها لجنتان، الأولى: «The Institutional Reforms Committee» (IRC) والتي كانت تتألف من خبراء في الدستور وقضاة متقاعدين وأسماء أخرى لم تعلن للملأ.

إنّ الفتوى التي جرّمت المذهب الشيعي في عام 1996 كان لها جذور امتدّت إلى عام 1984 عندما أعلن عدم الاعتراف بالمذهبيين الزيدي والجعفري، وأنّه كان على جميع المسلمين الإلتزام بعقيدة أهل السنة والجماعة، وأنّ دستور الدولة والمحافظات كان يجب أن يعكس هذا القرار.

ويأتي الكاتب على ذكر تجربته الشخصية حيث كان له 4 كتب محظورة، ولكن بتاريخ 10 كانون الثاني من عام 2018 ألغى القضاء قرار الحظر، ولم يجد أيّ دليل على أنّ كتبه كانت مثيرة للتحريض. فتمّ إلغاء الحظر؛ ولكنه يُضيف بأنّ سبعة مؤلفات من كتبه لا زالت محظورة حتى اليوم. بل إنّ فتوى 1969 تجرّم المخالف للفتوى بدفع 5000 رنجت ماليزي (أي ما يقارب 1172 دولار أميركي) إضافة لثلاث سنوات من السجن.

المخاوف المتأتمية من المذهب الشيعي نتجت بشكلٍ رئيسيٍّ من تحوّل الماليزيين لا سيّما أولئك الذين ولدوا بعد عام 1979 أي زمن الثورة الإيرانية، وليس فقط من جانب الشيعة المولودين من أبوين شيعيين.

ويؤكد الكاتب على أن السنة والشريعة في ماليزيا عاشا بسلام، ويمكن اقتفاء أثر الشيعة في الأدب الماليزي من حيث الأغاني، مثل أغنية تذكير بفاطمة، وقصص الإمامين الحسن والحسين، والمفاهيم مثل مفهوم الإمام المهدي، والمدائح مثل مديح الإمام علي.

يشير الكاتب إلى الجدلية التي حدثت في البرلمان في عام 1982، التي أثارها عبد الرزاق حسين، وهو عضو في البرلمان، حيث اتهم الشيعة بالتسبب في عدم الاستقرار والتطرف؛ وكذلك فعل إبراهيم عزمي حسن الذي ادعى بأن الشيعة يكسبون أتباعاً بشكل متزايد وسأل إن كانت الحكومة ستضع حداً لتعاليمهم. ووقع محمد يوسف تحت ضغط البرلمان فوعد بأنه سيراقب الشيعة من أصول شيعية، وأنه سوف يأخذ إجراءات بحق الشيعة في حال تبين أنهم يقومون بتشكيلات حركية. وفي عام 1993 جرى ربط بين الشيعة والثورة على لسان وزير الخارجية عبدالله فاضل، ولكنه في الوقت نفسه لاحظ السلوك الإيراني الإيجابي الذي يسعى إلى تخفيف الفروقات بين السنة والشيعة ويعمل على توحيدهم. وفي عام 1997 دعى عضو البرلمان محمد ذكي كمال الدين إلى سجن الشيعة، وحدث أن تمّ سجن 10 من الشيعة على ضوء قانون الأمن الداخلي «The Internal Security Act» وجرى مثله في عام 1998 وعام 2000 وعام 2001 بادعاء تشويه الإسلام ونشر الانحراف عن تعاليم الإسلام.

يكمل الكاتب بأنه خلال فترة حكم عبدالله بدوي بين عامي 2003 و2009 كان الوضع هادئاً وسلمياً. ويشير إلى أن مؤتمر عمّان والمؤتمر الرابع والثلاثين الإسلامي لوزراء الخارجية وإعلان أسلام آباد، كانت تؤكد على عدم التمييز بين السنة والشيعة، وهو ما أقدمت على تأكيده حكومة عبدالله خلال مشاركتها.

وعندما اعتلى نجيب عبد الرزاق الحكم بين عامي 2009 و2018 نُسيّت تلك الإعلانات، وهنا يشير الكاتب إلى لائحة مؤرخة لثمانية محافظات قامت بين 2011 و2016 بإصدار فتوى تعلن فيها انحراف الشيعة عن تعاليم السنة. هذا بالإضافة إلى اعتبار ماليزيا حليفاً للعربية السعودية التي قدّمت مبلغاً من المال بلغ 8,15 مليون دولار، ما جعل ماليزيا تقف إلى جانب مجلس التعاون الخليجي في ثورة البحرين وتتهم الثوار بأنهم «إرهابيون».

العلاجات والتحديات الممكنة:

يقدم الكاتب بعض التوصيات وهي كما يلي:

1. ينبغي على البلاد العودة إلى العلمانية؛ لأنّ الإسلام يمكن أن يزدهر أكثر في بيئة علمانية حيث جميع المعتقدات تكون مرحّب بها.
2. ينبغي على المجتمع تبني مبدأ «فتواك لا تنطبق هنا» حيث إنّ المفتي ليس مشرّع قانون وأن الفتوى هي رأي شخصي ولا يمكنها تجريم من لا يعمل بها أفراداً أم جماعات.
3. ينبغي على ماليزيا أن تتبني منهج الحقوق الإنسانية للمؤسسات الإسلامية وشرع حقوق الإنسان الدولية الصادرة عام 1948. وقد عبرت الحكومة الجديدة عن رغبتها بالموافقة عن مسؤوليتها في تحسين 6

حقوق إنسانية موجودة في الميثاق، وإن موافقة البرلمان ستؤدّي إلى تغييرات خصوصاً تجاه الشيعة. وينبغي على ماليزيا تنفيذ ما ورد في «خطة الرباط التنفيذية حول منع الكراهية العنصرية أو القومية أو الدينية التي تحرض على التمييز والعدوانية والعنف» تجاه الآخر؛ والذي نشر بعد العديد من ورش العمل في جنيف، سويسرا بتاريخ 13 شباط 2013. وقد وضعت الخطة 6 عوامل تحدّد أي تعابير يمكن منعها جرمياً. كما أنّ الخطة تحمّل وسائل الإعلام لا سيّما الصحافة المسؤولية في التشجيع على التسامح. وهنا يشير الكاتب إلى قضية الأم إنديرا غاندي، والتي هي من الهندوس كسبت قضية ترفض فيها تسجيل زوجها السابق المسلم لأبنائه في سجل المسلمين بحيث إنّ حكم المحكمة قد ألغى حكم الشرع، وهو يعتبر أن ذلك الحكم قد أكّد على أيّ جهة لها الأولوية.

وفي نهاية المقال يذكر محمد فيصل موسى أنّه على الماليزيين:

1. أن يحتضنوا الإسلام الإصلاحي، فيرفضوا التمييز القائم على الدين والجنس والعرق والأيدولوجيا، وأن لا يفرّقوا بين المدارس المذهبية الإسلامية أو بين المسلمين وغير المسلمين.
2. أن يكون لدى الجميع حرية الاعتقاد والدين، وأن لا يكون هناك إكراه في الدين.
3. من حيث المجتمع، أن لا يتمّ نشر الدين والالتزام سوى بموافقة الآخرين وإقناعهم بتفضيل حلول دينية على أخرى غير دينية.
4. أن تبقى المبادئ الدينية مفتوحة على النقاشات والنقد والتساؤل.
5. أن تتصف الأحكام الدينية بثلاث صفات: العدل، والمنطق المعقول أي انفتاحها على النقاشات، وأن تكون أسمى من الحلول البديلة.
6. أن يعتقد الإسلام الإصلاحي بأنّ الإسلام يُوفّر المبادئ العامّة التي تفتح مجالاً للتجربة الإنسانية والحكمة الإنسانية الجماعية والمبادرات.

وفي الختام يقول الباحث بأنّه في حال رغبة الماليزيين بتبني التصالح، فإنّ تصالحهم سينجح، وعلى السنة أن يتقبّلوا الشيعة بما فيهم الذين تحوّلوا إلى المذهب الشيعي أو الذين هم شيعة بالمولد. ويتوجّه إلى الشيعة ليقتراح أن يتخلّوا عن هاجسهم بولاية الفقيه، التي أفرزت الخوف حتى صدرت فتوى عام 1996. ولكنّه في الوقت نفسه لا يتردّد بوصف شكل النظام بأنّه نظام تمييز عنصريّ مذهبيّ دينيّ في حين أنّ السنة والشيعة في ماليزيا قد عاشوا بسلام لأزمنة مديدة، وأنّ التغيير قد حصل بعد عام 1979 عام الثورة الإيرانية حين تحوّل بعض الماليزيين إلى التشيع، ورافق ذلك عمليّة تحويل المؤسسات الإسلامية إلى الوهابية.

ويحدّث محمد فيصل موسى من أنّ التصالح هو في أيدي الحكومة، وإن لم يحصل تبني للحقوق الإنسانية وللإصلاح في المؤسسات الإسلامية لوضع كلا الفتنتين سوياً، فإنّ المتشدّدين المسلمين سيخطفون المودّة الاجتماعية ثانية.



تأثير علم القيم الشيعي في ثقافة ملايو

SHIA INFLUENCE IN THE AXIOLOGY OF MALAY CULTURE⁽¹⁾

صدر العدد السابع عشر من «المجلة الدولية لفلسفة الثقافة وعلم القيم»⁽²⁾ لسنة 2020، وقد تضمّن مقالاً للباحث الماليزي محمد فيصل موسى⁽³⁾ جاء تحت عنوان «تأثير علم القيم الشيعي في ثقافة ملايو».

يضيء الباحث من خلال هذه المقالة على التركيبة الاجتماعية والثقافية المختلفة في مدينة الملايو الماليزية، ومدى التأثيرات الخارجية في هذه التركيبة. وقد جاء في ملخص المقال: على مرّ السنين، هناك العديد من البحوث حول التنمية

الثقافية يُنظر إليها من منظور اجتماعي تاريخي. ويعدّ الإسلام في منطقة الملايو فريداً من نوعه؛ لأنه متنوع ومنفتح على التأثيرات الخارجية، ومن المهمّ النظر إليه؛ لأنه يختلف اختلافاً كبيراً عن «الإسلام» الذي يُمارس في الشرق الأوسط. وبناءً على المناقشات، فإنّ العلماء أو رجال الدين المسلمين في هذه المنطقة والماليزيين أنفسهم مارسوا بالفعل نموذج المذاهب كما اقترحه العديد من العلماء المعاصرين. وباستخدام التأثيرات الشيعية في ثقافة الملايو، تحاول هذه المقالة إظهار كيف لم يسقط المسلمون في هذه المنطقة في الطائفية. في الواقع، كان الشيعة جزءاً لا يتجزأ من ثقافة الملايو، وعلى الرغم من الأغلبية السنية إلا أنّ معظم المذاهب والأركان الشيعية تمّ قبولها على نطاق واسع واحتضانها. وبالتالي انعكس علم التشيع في ثقافة الملايو في العديد من النصوص الدينية والأدب الكلاسيكي والأحداث الثقافية. ومع ذلك، مع تصاعد الطائفية في هذه المنطقة، تآكل النفوذ الشيعي وأبحاثه ببطء وكانوا ضحية تدخلات أجنبية غير ضرورية.

(1) https://www.pdcnet.org/cultura/content/cultura_2020_0017_0001_0099_0119

(2) تأسست في عام 2004، وهي مجلة نصف سنوية مخصصة لفلسفة الثقافة ودراسة القيم؛ إذ تشجّع على استكشاف القيم والظواهر الثقافية المختلفة في السياقات الإقليمية والدولية. ويتم نشرها في المقام الأول باللغة الإنجليزية، كما ينشر أحياناً مقالات باللغات الألمانية والفرنسية والإيطالية. تصدر عن مركز توثيق الفلسفة (Philosophy Documentation Center) من قبل بيتر لانغ (Peter Lang). ورئيس التحرير نيكولاي رامبو (Nicolae Râmbu)

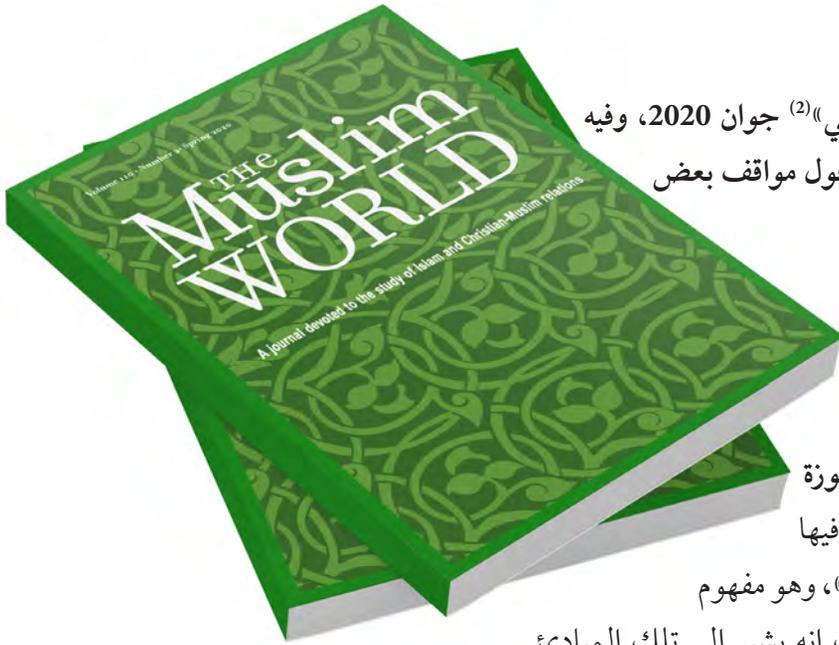
(3) باحث في الجامعة الماليزية، وباحث في مشروع الشيعة والشؤون العالمية في مركز ويدهيد للشؤون الدولية في جامعة هارفارد.

■ حماية قلعة الإسلام في العصر الحديث:

حالة المجتهدين الشيعة وحوزة النجف

في أوائل القرن العشرين بالعراق

:PROTECTING THE CITADEL OF ISLAM IN THE MODERN ERA
A CASE OF SHI' I MUJTAHIDS AND THE NAJAF SEMINARY IN
EARLY TWENTIETH-CENTURY IRAQ⁽¹⁾



صدر العدد 110 من مجلة «العالم الإسلامي»⁽²⁾ جوان 2020، وفيه مجموعة من الدراسات تمحورت في الغالب حول مواقف بعض علماء الشيعة المعاصرين ...

لقد اخترنا من المواضيع المطروحة في هذا العدد مقالة الباحث محمد ر. كلنتاري⁽³⁾، التي جاءت تحت عنوان: «حماية قلعة الإسلام في العصر الحديث: حالة المجتهدين الشيعة وحوزة النجف في أوائل القرن العشرين بالعراق»، وفيها يتعرّض الباحث إلى مفهوم «حفظ بيضة الإسلام»، وهو مفهوم

شائع في معاجم الفقه السياسي الشيعي؛ حيث إنه يشير إلى تلك المبادئ

الإسلامية وأسسها، التي بدونها يكون وجود الإسلام والمجتمع الإسلامي في خطر. خلال

عصر الغيبة، يُعتقد أنّ المجتهدين الشيعة، بصفتهم نوّاباً عامين للإمام الغائب، إنّما هم يبذلون قصارى جهدهم للوفاء

(1) <https://onlinelibrary.wiley.com/doi/10.1111/muwo.12340>

(2) تأسست مجلة «العالم الإسلامي» عام 1911، وحزرها معهد هارتفورد منذ عام 1938، وهي مجلة مكرسة لتعزيز البحوث العلمية ونشرها حول الإسلام والمجتمعات الإسلامية والجوانب التاريخية والحالية للعلاقات بين المسلمين والمسيحيين. تتضمن المجلة مقالات بحثية ومراجعات كتب وإشعارات واستطلاعات للدوريات.

(3) متحصل على الليسانس من جامعة الشهيد بهشي، وعلى الماجستير من جامعة لانكستر، وعلى الدكتوراه من جامعة هولواي الملكية بلندن. وهو زميل باحث في العلاقات الدولية للشرق الأوسط، ونائب مدير مركز الدراسات الإسلامية وغرب آسيا في قسم السياسة والعلاقات الدولية. يكمن اهتمامه البحثي في العلاقات الدولية للشرق الأوسط مع التركيز بشكل خاص على التفاعل بين المذاهب الإقليمية، وإيديولوجيات النخبة، والإسلام السياسي.



بهذه المسؤولية الجد مقدّسة. ولقد تمّ تطوير معنى المفهوم وتطبيقاته عبر التاريخ الشيعي. هناك حالة جديرة بالملاحظة لحماية قلعة الإسلام، وهي موقف السيد أبو الحسن الأصفهاني (1867-1946) والميرزا محمد حسين النائيني (1862-1937)، في مقابل حوزة النجف والسلالة الهاشمية التي تأسست حديثاً في أوائل القرن العشرين. تهدف هذه الورقة إلى إلقاء مزيد من الضوء على مفهوم قلعة الإسلام، وانعكاساتها على الفكر السياسي الشيعي، والتطبيقات المعاصرة.

المقدمة

في إحدى خطباته التي ألقاها في عام 1980، خاطب «آية الله الخميني» مجموعة من علماء المعاهد الدينية، وحثّهم فيها على أن كونهم علماء فهم من يحافظ على الإسلام وهم حماة قلعة الإسلام (بيضة الإسلام). إن «قلعة الإسلام» هي مصطلح متعدّد القيم في الفقه السياسي الشيعي، حيث يشمل معاني «التكوين» و«الكيان» و«المجتمع الإسلامي الأساسي». يظهر في مبدأ استثنائي يُعرف باسم وجوه حفظ منعة (بيضة) الإسلام الذي شكل حتى اليوم المنطق الفقهي (اجتهاد) لفقهاء الشيعة المؤهلين (المجتهدين) عبر التاريخ، وشجّعهم إمّا على أن يصبحوا ناشطين سياسياً و/أو أن يطلّوا مهادين ساكنين، كما تتطلب الظروف: على ضوء واجب حماية قلعة الإسلام. كما توضح هذه الورقة، فإنّ العقيدة الشيعية السائدة تنصّ على أنّ أيّ هدف اجتماعي سياسي يجب أن يكون ثانوياً لهذا المبدأ الذي لا يمكن تعريضه لزعزعة.

على النقيض من نظرائهم السنّة، على الأقل حتى العقود الأخيرة، كان المجتهدون الشيعة السائدون مستقلين عن الدولة، واعتمدوا إلى حدّ كبير على قدراتهم الفردية والتنظيمية؛ لتعبئة الجمهور والمطالبة بحقّ حصريّ على أتباعهم من العامة. إنّ مبدأ الوصاية (الولاية) المتجسّد في هوية المجتهدين الشيعة، لهو متجذّر في كاريزما الأئمة الإثني عشر المعصومين، وفي ما يسمى بنوابهم العامين، وفي المجتهدين، وفي ولاء وتفاني أتباعهم. كما أنّ المواقف السياسية للأئمة والمجتهدين الشيعة كانت ولا زالت تنبع من قدرتهم على ترسيخ قاعدة شعبية. هذه هي الطريقة التي يقرأ بها علماء الاجتهاد الأصولي التاريخ السياسي للأئمة الشيعة وأتباعهم. ففي كلماتهم، كلّما رأى الأئمة المعصومون دعماً من المجتمع خاضوا في السياسة بنشاط، وإلاّ يبقون مهادين ساكنين. ونتيجة لذلك، وبمثابة أنّهم النواب العامين للأئمة خلال زمن الغيبة، احتفظ المجتهدون الشيعة ببعض صلاحياتهم، وأكّدوا على الحقّ لأنفسهم من مسؤوليات ومواقف سياسية مماثلة. بالنسبة للمجتهدين، يمكن اعتبار جميع أعمال الأئمة المعصومين خلال حياتهم من وفاة النبي محمد، عام 632 م، إلى بداية غيبة الإمام الثاني عشر، عام 873 م، على أنّها أفعال «الرجل الكامل». من وجهة نظرهم التقليدية، يرى المجتهدون الشيعة أن هدوء «علي بن أبي طالب»، الإمام الأوّل، حول مسألة خلافة الرسول وخلافة «أبي بكر» إلى حدّ ما كان نتيجة إلى أن أنصار «علي» ما كانوا الأغلبية المسلمة في ذلك الوقت. لقد بقي مهادناً وامتنع عن الشؤون العامة على مدى العقدين التاليين. فقط عندما تجمع عشرات من المسلمين خارج منزله وطلبوا منه قبول الخلافة حينها وافق «علي» أن يصبح نشطاً سياسياً مرّة أخرى. وقد برّر هذا الانتقال من المهادة إلى النشاط:

«لَوْ لَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ إِلَّا يُقَارُوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَلَا سَعَبِ مَظْلُومٍ لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا».

إنّ نشاط ابنه الأصغر الإمام الشيعي الثالث حسين بن علي، وتمردّه على الخليفة الأموي آنذاك يزيد بن معاوية انتهى بمأساة كربلاء. وتسبب الحدث وما أعقبه في أن يحافظ الأئمة الشيعة ممن جاؤوا لاحقاً على موقف سياسي مُهادنٍ. في القرنين التاليين، ركز الأئمة بشكل رئيسي على تعليم عقيدة الإيمان لمن هم في دائرتهم من الصحابة المقرّبين وأفراد أسرهم. ومع تزايد جمهور المرّدين للأئمة، الذي أدّى أيضاً إلى حصولهم على الاستقلال المالي من خلال تبرع أتباعهم بعبءات الزكاة والخمس، أجبر الخليفة العباسي المأمون (786-833) الإمام الشيعي الثامن على الهجرة من المدينة المنورة إلى طوس؛ بهدف إبقائه تحت المراقبة المباشرة للخليفة. الخلفاء اللاحقون، وبسبب خوفهم من شعبية الأئمة الشيعة، جعلوا هذه الممارسة أمراً دائماً التكرار. لذلك، حسب المعتقد الشيعي السائد، ولد الإمام الثاني عشر في الحامية العسكرية للخليفة؛ في وقت لاحق، وبسبب الخوف على حياته، أقدم على الغيبة. تؤكد المعتقدات المخلصية الشيعية على الفكرة بأن الإمام الثاني عشر على قيد الحياة، وأن إقامة «النظام الإسلامي العادل» بانتظار ظهوره في المستقبل. مع عدم تمكن وصول المجتمع مباشرة إلى الأئمة، فالأمر متروك للشيعة المجتهدين للوفاء بالمسؤوليات ذات الصلة خلال هذه المرحلة الانتقالية.

تتبع جذور سلطة المجتهدين الشيعة خلال عصر الغيبة من هذه السيرة لوجود الأئمة من 632م إلى 873 م. كلّ تبرير للأدوار الاجتماعية والسياسية المتميزة التي يدعيها المجتهدون الشيعة لأنفسهم كلّها مستمدّة من كيفية ربط سلطتهم بسلطة أنشطة ومسؤوليات الأئمة، ويُعرف هذا بتفويض الإنابة العامة.

ووفقاً للعقيدة الشيعية السائدة، كانت المسؤوليات الرئيسية للأئمة خلال فترة الـ 250 عام هذه هي نشر الرسالة «الحقيقية» للنبي، وحماية المجتمع المسلم، وحماية قلعة الإسلام. وتصرّ على أنّه من واجب المجتهدين الشيعة تولي هذه المسؤولية خلال الغياب للإمام الأخير. نقل الجامع البارز للتقاليد الشيعية، الكليني (المتوفى 941م)، عن الإمام الشيعي السابع قوله:

«لَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْفُقَهَاءَ حُصُونُ الْإِسْلَامِ كَحِصْنِ سُورِ الْمَدِينَةِ لَهَا».

لذلك يجب دراسة المعرفة والأنشطة والمواقف السياسية للمجاهدين الشيعة خلال زمن الغيبة فيما يتعلق بهذه المسؤولية الأساسية: أي حماية قلعة الإسلام. وهذا يمثل أحد المبادئ القليلة جداً التي تم إنابة تنفيذها بدون شروط. وبالتالي، فإنّ كلّ نشاط وواجب ومسؤولية أخرى للمجتهدين يأتي في المرتبة الثانية لحماية قلعة الإسلام. في المراحل المبكرة من زمن الغيبة، اعتقد المجتهدون في غالبيتهم أنّ الوفاء بهذه المسؤولية يتطلّب منهم السعي نحو تجميع تعاليم الأئمة، وإنشاء دوائر تعلّم ومعاهد، والانخراط في نقاشات مع علماء من طوائف إسلامية أخرى.

في وقت لاحق من التاريخ الحديث - أثناء صعود السلالة الصفوية (1501-1722) - اعتبر بعض



المجتهدين أنهم قد أوفوا بهذه المسؤولية من خلال إضفاء الشرعية على الملوك الشيعة، وإسداء المشورة إليهم. وبالمثل، في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، استغلوا سلطتهم المتميزة من خلال تعبئة أتباعهم للقتال في الحروب الروسية الفارسية (1804-1828)، و ثورة التبغ (1891)، والثورة الدستورية الفارسية (1905-1911). وأخيراً، في الزمن المعاصر، خلصت مجموعة من المجتهدين بزعامة «آية الله الخميني» إلى أنه يجب عليهم إقامة حكومة إسلامية لحماية قلعة الإسلام. وبالطبع، كان هناك العديد من المجتهدين الآخرين الذين اعتقدوا خلال تلك الفترة أنه من أجل حماية قلعة الإسلام، كان عليهم التركيز على الأنشطة العلمية والامتناع عن الانخراط المباشر في السياسة.

تناقش هذه الورقة بأن السبب الرئيس وراء تبني المجتهدين الشيعة مواقف سياسية مختلفة في هذا الصدد هو أن تصوّرهم لما تنطوي عليه حماية قلعة الإسلام يختلف مع تغير الظروف. وبعبارة أخرى، إذا أدرك المجتهد أن انخراطه في السياسة سيهدد بأي شكل قلعة الإسلام، فإنه سيتخذ موقفاً مهادناً. تحاول هذه الورقة إلقاء المزيد من الضوء على مبدأ حماية قلعة الإسلام في الفقه السياسي الشيعي، وتطورها التاريخي، وكيف شكّلت كل من المواقف السياسية الناشئة والهادئة للمجتهدين الشيعة في العصر الحالي. بمراجعة المصادر الشيعية الأولية، يشرح القسم الأول من الورقة المفهوم ومعانيه وحالاته وتداعياته. وفي القسم الثاني، تحاول الورقة أن تشرح كيف شكّل تصوّر المجتهدين الشيعة -المرشدين لما يُشكّل حماية قلعة الإسلام في أي وقت من الأوقات- مواقفهم السياسية في أوائل القرن العشرين في العراق. لقد أصبحوا ناشطين سياسياً بين عامي 1914 و 1924، وابتعدوا عن الشؤون السياسية، وظلّوا هادئين، من عام 1924 إلى عام 1958. وتختتم الورقة بمناقشة الآثار الناشئة للمبدأ في الفقه السياسي الشيعي في أعقاب قيام الحكومة الإسلامية في إيران.

حماية قلعة الإسلام: مسؤولية لا غنى عنها في الفقه الشيعي

وقد لوحظ أنّ المبدأ المؤثر الذي شكّل الموقف السياسي للمجاهدين الشيعة هو مسألة حماية قلعة الإسلام. يوجد القليل في اللغة الإنجليزية حول معنى هذا المفهوم وحالاته وآثاره. يذكر «سعيد أمير أرجومان» (Saïd Amir Arjomand)، الذي يترجم بيضة الإسلام على أنها «قلعة الإسلام»، بإيجاز في دراسته لدور المجتهدين الشيعة خلال الثورة الدستورية الفارسية. ومع ذلك، فإنّ المفهوم وتطبيقاته في سياقات اجتماعية وسياسية مختلفة لعب دوراً مهماً في الفقه الشيعي منذ العصور الأولى. تعتبر حماية بيضة الإسلام مسؤولية إلهية لا جدال فيها من الأئمة المعصومين والمجتهدين الشيعة خلال زمن الغيبة. أهميته في الفقه الشيعي هي أنّ جميع المجتهدين يعتقدون بالإجماع أنه، في الحالة المحتملة التي يأتي فيها فعل إجباري آخر يتعارض مع حماية قلعة الإسلام، فإنّ الأخير له الأسبقية.

معاني وحالات

يشير المعنى المعجمي لبيضة الإسلام إلى صميم الإسلام وجوهره، وهو صفة إسلامية يفقد الإسلام هويته بدونها. ويعرّف اللغويون العرب بيضة الإسلام ببساطة على أنها «المجتمع الإسلامي ومبادئه». يقول الفقيه الشيعي البارز

«كاشف الغطاء» (المتوفى 1812م) أنّ بيضة الإسلام تشير إلى تلك الأسس الحاسمة للإسلام التي بدونها الإسلام والمجتمع المسلم في خطر. عند معالجة سؤال حول معنى هذا المفهوم، يقول مجتهد آخر، وهو «الميرزا القمي» (1738م-1815م):

«إنّ مصطلح «بيضة» له معاني مختلفة: أولاً، البيض. الثانية، الخصيتين. الثالثة، خوذة. رابعاً، محيط شيء ما. خامساً، يقولون «بيضة البلد» التي تشير إلى رئيس بلدة يجتمع المجتمع حوله ويتبع أوامره. قد تشير بيضة الإسلام مجازاً إلى الإسلام، الذي يشبه المحارب الذي يرتدي خوذة على رأسه. وكما أن الرأس هو قائد الجسد ومن دون رأس لا يبقى أحد على قيد الحياة، فبالتالي حماية الرأس هي حماية حياة المرء. كما تحمي الخوذة رأس المحارب وتحافظ عليه، كذلك هي حماية بيضة الإسلام ضدّ الأعداء فهي تبقي الإسلام والمجتمع الإسلامي على قيد الحياة. وكما يوضح «القمي»، فإنّ حماية بيضة الإسلام تنطوي على عمل يحافظ على أرض الإسلام وجوهره. إنّ التهديد لقلعة الإسلام سيعرّض وجود الدين للخطر، خاصّة عندما يفرضه الغرباء. في الفقه الشيعي، الذي يحمي قلعة الإسلام من تهديد متصور، مسؤوليّة تقع على عاتق الأئمة المعصومين، وخلال زمن الغيبة، هي على عاتق نوابهم العامين أو المجتهدين الشيعة المؤهلين.

بالإضافة إلى هذا التعريف العام، يشير بعض الأدب الشيعي أيضاً إلى مواقع معينة، مثل المدن ذات الأهمية الدينية في المدينة المنورة والنجف، باعتبارها قلعة الإسلام (الشيعي). في عام 630 م بعد شائعات عن الغزو البيزنطي للمدينة، دعا النبي محمد المجتمع الإسلامي للاستعداد للحرب. قبل الإنطلاق في الحملة التي تلت ذلك، طلب من ابن عمه «علي» عدم مرافقة الجيش الإسلامي، بل البقاء في المدينة. يُبرّر علماء الشيعة قرار النبي بأنّه في ذلك الوقت، كانت المدينة المنورة وهي مركز دار الإسلام، تحت تهديد مستمرّ من مجموعة الخصوم المتخفين المعروفين بالمنافقين. ويقولون بأنّ النبي طلب من «علي» حماية ما يُعتقد أنّها قلعة الإسلام. لو لم يبق لحراسه المدينة حين كان جيش الإسلام بعيداً، لكانت قد سقطت في أيدي الكفار والمنافقين، وبعد ذلك لكانت ذهبت كلّ جهود النبي على مدى اثنين وعشرين عاماً سُدّي. على غرار المدينة المنورة، تعتبر مدينة النجف أيضاً قلعة للإسلام، كما يقول بعض المجتهدين الشيعة البارزين. على سبيل المثال، كتب «السيد جواد العاملي» (ت 1811)، في وسط نهب الوهابية لكربلاء والنجف في أوائل القرن التاسع عشر، كتب «رسالة في وجوب الذب عن النجف الأشرف» لأنّه بيضة الإسلام، وهي تدور حول التشجيع على وجوب الخوف على النجف؛ لأنّه قلعة الإسلام، فشجّع أتباعه على الدفاع عن المدينة، وأوضح لماذا يجب على كلّ شيعيٍّ قادرٍ أن يهرع لحماية النجف ومعاهده الدينية.

ماذا تعني حماية قلعة الإسلام؟

يشير الكليني إلى تقليد حديث رواه الإمام الشيعي الثامن علي بن موسى الرضا (ت 819م) الذي يحرمّ فيه على أتباعه مساعدة الجيش الظالم، أي الخليفة العباسي. في مناقشة هذا، يسأل الأتباع من العامة الإمام التالي: «هل تقول إنّّه إذا دخل الرومان أراضي المسلمين، فيجب ألا يوقفهم [الشيعة]؟»



يجيب الإمام: إن أتباعه يجب فقط أن «يدافعوا عن أنفسهم ويجب ألا يشاركوا في القتال، إلا إذا كانت بيضة الإسلام في خطر».

ويتابع الإمام موضحاً أنه في هذه الحالة، «الشيعة يقاتلون من أجل حماية بيضة الإسلام وليس الخليفة، فإن في» دروس بيضة الإسلام دروسٌ لدين محمد».

هذا هو الحديث الوحيد الذي يشير صراحة إلى مصطلح بيضة الإسلام في الإسلام الشيعي، وأصبح أساساً لأحكام المجتهدين. أولاً وقبل كل شيء، يقوم هذا الجدل على أن الجهاد الدفاعي خلال زمن الغيبة له ما يبرره في الإسلام الشيعي. كما كتب الشيخ الطوسي (ت 1067):

«المشاركة في الجهاد تحت راية حاكم ظالم أمر خاطئ وأولئك الذين يتجاهلون هذا يرتكبون خطيئة. وأولئك الذين يصابون في مثل هذه الحروب لا يكافؤن [عند الله] ... إلا إذا كان هناك خوف على قلعة الإسلام ... [في هذه الحالة] يصبح الجهاد للدفاع عن الإسلام واجباً.»

استخدمت العديد من فتاوى الجهاد في العصور الوسطى والحديثة النهج نفسه، وأصبحت حماية قلعة الإسلام مفهوماً بارزاً في الفقه السياسي الشيعي. بالإضافة إلى الجهاد الدفاعي، ومشاهدة الحدود الإسلامية وحراستها، استخدم مجتهد شيعي هذا المبدأ في الآونة الأخيرة؛ لتبرير إنشاء الحكومة الإسلامية، واستعادة النظام الداخلي وإصلاح الشؤون الداخلية للمسلم. إن المشاركة البارزة للزعيم المتصوّف الهاديء كما هو معروف في معهد النجف «آية الله الخوئي» (توفي عام 1992)، خلال الانتفاضة العراقية عام 1991 هي مثال على ذلك. فمع اندلاع القتال في شوارع النجف بين المتمردين والقوات العراقية، أصدر «الخوئي» دعوة مفتوحة موجّهة إلى «أبنائه الأحباء والشعب المؤمن»:

«لا شكّ أنّ حماية قلعة الإسلام والعناية بمقدّساتها واجب لا غنى عنه لكلّ مسلم ... أحثكم على أن تكونوا قدوة حسنة باتباع المبادئ الإسلامية والعناية بسلوككم. أحثكم على أن تراعوا حرمة الله عندما يتعلّق الأمر بحرمة الناس وممتلكاتهم وكذلك الأماكن العامة.»

ومع ذلك، فإنّ حماية قلعة الإسلام لا تنطوي بالضرورة على النزاع والنشاط. بالطبع، في معظم الحالات، تم استخدامه لتبرير النشاط السياسي الشيعي، وخاصّة للدفاع عن مبادئ العقيدة، وللدفاع عن المجتمع من تهديد الغرباء، ولكن في بعض الحالات، كانت الحاجة إلى الوفاء بهذه المسؤولية أيضاً تقدّم مبرراً للمهادنة السياسية. الجدير بالذكر هو أنّ السؤال الوجودي عن الإسلام الشيعي، أي الخلاف حول حقّ الخلافة، يكشف عن المهادنة السياسيّة من أجل حماية قلعة الإسلام في المعتقدات الشيعية السائدة. المجتهد الشيعي اللبناني، «عبد الحسين شرف الدين» (توفي عام 1957)، يبرّر مهادنة «علي» بشأن خلافة «أبي بكر» عندما يكتب:

«كان من الطبيعي أن يتنازل عن حقّه في الخلافة لمصلحة الإسلام ولمصلحة المجتمع المسلم ... لذلك، تخلّى فقط

عن نزاعه مع أبي بكر لحماية قلعة الإسلام ... هو وأفراد عائلته، وصحابته تبعوه واختاروا المهادنة بينما كان الأمر يشبه الوخز في أعينهم واختناقهم في حناجرهم».

تحقيقاً لهذه الغاية، لا يعني اتخاذ مواقف سياسية مختلفة - ناشط أو مُهادن - بالضرورة تفاوتاً استراتيجياً بين المجتهدين الشيعة. إنها ليست قضية أساسية بحد ذاتها. ما هو أساسي ولا جدال فيه هو حماية قلعة الإسلام، والسياقات المختلفة التي واجهها المجتهدون هي التي كانت تحدّد أن يصبحوا ناشطين سياسياً أم مُهادنين 1914 إلى 1924.

المجتهدون الشيعة وحماية قلعة الإسلام في العراق في أوائل القرن العشرين

واحدة من الروايات الحديثة الجديدة بالملاحظة التي استخدم فيها المجتهدون الشيعة مبدأ حماية قلعة الإسلام؛ لتبرير نشاطهم السياسي أولاً ثم هدوئهم، حدثت في أوائل القرن العشرين في العراق. من عام 1914 إلى عام 1924، أدّى التصوّر الذي يحمله المجتهدون لما كان يُشكّل «حماية قلعة الإسلام» إلى اتخاذ موقفين سياسيين مختلفين على ما يبدو. على الرغم من أنّ العديد من المجتهدين الشيعة البارزين في النجف وكربلاء وسامراء، كانوا بشكل عام، مشاركين بنشاط في سياسة إيران خلال الحروب الروسية-الفارسية، وثورة التبغ، والثورة الدستورية الفارسية، إلّا أنّهم ظلّوا مُهادنين نسبياً فيما يتعلق بالسياسة العثمانية العراقية خلال القرن التاسع عشر. ولكن مع اندلاع الحرب العالمية الأولى، اتخذ المجتهدون في العراق موقفاً أكثر نشاطاً: فدعموا القوّات العثمانية وشجّعوا أتباعهم على الدفاع عن العراق ضدّ الغزاة البريطانيين. في عام 1921، تولّت بريطانيا الانتداب على العراق، وتمّ تنويع فيصل بن الحسين -وهو سنيّ وغير عراقيّ- كأول ملك للعراق. ولكن في وقت لاحق، في عام 1924، بخيبة أمل من نتيجة نشاطهم، تعهّد المجتهدون الشيعة القياديون في ذلك الوقت، «السيد أبو الحسن الأصفهاني» و«الميرزا محمد حسين النائيني»، للملك بالإنكفاء عن السياسة الوطنية العراقية، والتركيز فقط على النشاط العلمي. يحاول هذا القسم شرح كيف كان واجبهم في كلتا الحالتين حماية قلعة الإسلام هو السلوك الذي شكّل المواقف السياسية للمجتهدين المعنيين.

مع اندلاع الحرب العالمية الأولى في أوروبا والتحالف العثماني مع ألمانيا، انطلقت حملة بلاد الرافدين، وفي شهر تشرين الثاني من عام 1914، استولت القوات البريطانية على البصرة وسارت شمالاً إلى العراق. أصدر رئيس حوزة النجف في ذلك الوقت، السيد محمد كاظم اليزدي (1831-1919)، الذي كان على ما يبدو يقود المعسكر المهادن خلال الثورة الدستورية الفارسية، أصدر فتوى جهادية. ولحماية قلعة الإسلام، أقدم على حثّ المسلمين جميعهم على الانضمام إلى القوّات ضدّ البريطانيين «غير المؤمنين». وفي رسالته التي بعث بها إلى العشرات من زعماء القبائل العراقية، كتب:

«ولا غنى لجميع القبائل، وسكان الحدود، وغيرهم من المسلمين القادرين، عن حماية حدودهم وحماية قلعة الإسلام إلى أقصى حدّ يستطيعونه».

بالنسبة لرئيس النجف في ذلك الوقت، فرضت حماية قلعة الإسلام حرباً دفاعية ضدّ الدخلاء

البريطانيين، بغض النظر عما إذا كان الخليفة العثماني، بناءً على الفقه الشيعي، والذي كان بشكل قاطع «حاكمًا ظالمًا». كانت إشارة «السيد كاظم اليزدي» إلى قلعة الإسلام لتبرير الجهاد الدفاعي ضدّ القوّات البريطانية، كما نوقش أعلاه، تطبيقًا روتينيًا لهذا المبدأ الفقهي.

انضمّ آلاف الشيعة، بمن فيهم نجل «اليزدي»، إلى الجيوش العثمانية للدفاع عن الحدود. لكن ما أثار فزعهم هو أنّ القوات البريطانية استولت على بغداد في شهر آذار من عام 1917 وأنهت الحكم العثماني في العراق إلى الأبد. في أعقاب الحرب، سعت بريطانيا إلى تعزيز سيطرتها على المنطقة. وسط هذه التطورات، توفي «اليزدي» في شهر نيسان من عام 1919، وخلفه «محمد تقي الشيرازي» (1840-1920) في كربلاء على الرئاسة الشيعية العراقية، والذي لعب بعد ذلك دورًا محوريًا في تعبئة السكان طوال الثورة العراقية عام 1920 ضدّ الاحتلال البريطاني. تشكّل الثورة، وهي صراع في عموم أرجاء الوطن من أجل الحرية والاستقلال، الأساس لما يعرف اليوم بالعراق. بالنسبة للمجتمع الشيعي، الذي لعب دورًا رئيسيًا في الثورة، فإنّه يمثل أهمّ مساهمة للوحدة الوطنية، على الرغم من أنّ النتيجة لم تفدّهم قط كما توقعوا هم وقادتهم الدينيون.

في شهر أيار من عام 1920، اجتمعت مجموعة من المجتهدين الشيعة، وشخصيات بارزة، وشيوخ القبائل في كربلاء مع «الشيرازي» لاتخاذ قرار مشترك حول كيفية الردّ على الاحتلال البريطاني. وأصدر «الشيرازي»، عند الاتفاقية، إعلانًا ينصّ على ما يلي:

«كونوا يقظين؛ لأنّ إخوانكم في بغداد، وفي الكاظمية وفي النجف وفي كربلاء وفي مناطق أخرى توصّلوا إلى قرار مشترك بالتظاهر سلميًا والمطالبة بحقوقهم المدنية. إنّهم يطالبون بحق باستقلال العراق وقيامه حكم إسلامي عادل. ومن ثم، فهو من واجبكم إرسال ممثلين لكم إلى بغداد، والحفاظ على السلام والنظام، ومحاولة منع أيّ انقسام داخلي. كما أنصحكم باحترام الآراء جميعها خلال هذا الجهاد الكبير».

دفع تطوّر الأحداث والسياسات البريطانية ضدّ دعوة المجتهدين إلى تنظيم انتفاضة شعبية، وبعد ذلك أصدر «الشيرازي» خطابًا مفتوحًا متبوعًا بدعوة إلى الجهاد ضدّ المحتلين الأجانب. نص رسالته، جزئيًا، على النحو التالي:

«لا يخفى على أحد أن وضع المجتمع المسلم اليوم مرهق وخرج للغاية، ويتطلب من العلماء الموقرين ألاّ يبقوا مهادين... واليوم، يجب على جميع أفراد الجالية المسلمة الوفاء بواجب الدفاع عن قلعة الدين وحماية المقدّسات من الكفّار».

تشير الرسالة بوضوح إلى أنّ أساس الجهاد الدفاعي لـ«الشيرازي» كان أيضًا اجتهاده حول ما كان يشكل حماية قلعة الإسلام في ذلك الوقت. في هذا القرار، حصل على الدعم الكامل من المجتهدين الشيعة البارزين الآخرين بما في ذلك مهدي الخالصي (ت 1925) في الكاظمية وشيخ الشريعة الأصفهاني (ت 1920) في النجف، حيث إنّهم لم ينجح فقط في

تعبئة سكان الحضر بل شجّع أيضًا مقاتلي القبائل الشيعية في جميع أنحاء الفرات الأوسط. بحلول شهر تموز من عام 1920، تمّ تحرير مناطق شاسعة من الفرات الأوسط والسفلي تحت قيادة هؤلاء المجتهدين الشيعة «المقاتلين». ولكن ارتبك الثوار، فقد توفي «الشيرازي» فجأة، وانتقلت الرئاسة من كربلاء إلى النجف. هدأت الثورة واتفق المتحاربون على وقف إطلاق النار بحلول شهر تشرين الأول من ذلك العام.

إن انخراط الشيعة في ثورة 1920 لم يجلب لهم سوى اليأس. كانت وفاة المجتهدين الشيعة البارزين، الذين قادوا المجتمع في الاستقلال عن بريطانيا، ضربة قاسية للنشاط السياسي للمجتمع. عندما استقر غبار الانتفاضة، ولتعزيز وجودهم في العراق، أسس البريطانيون الملكية الهاشمية.

كان المجتمع بعد ذلك تحت القيادة الجماعية لثلاثة مجتهدين: «مهدي الخالصي»، و«أبو حسن الأصفهاني»، و«النائيني» في النجف. وتعهّد هؤلاء في نهاية المطاف بالولاء لـ«فيصل»، وإن كان مشروطًا. أكد «الخالصي» علنًا أنّ المجتهدين سوف يدعمون «فيصل» طالما أنه كان يحترم سيادة العراق، وأنه كان سيقطع الروابط مع بريطانيا، وأنه سيوافق على أن سلطته ستكون ملزمة من قبل مجلس نواب منتخب.

من أجل ضمان تفويضهم في العراق، وضع البريطانيون شروط المعاهدة الأنجلو-عراقية؛ وللمصادقة على المعاهدة رسميًا، كانت هناك حاجة للجمعية التأسيسية. في 13 تشرين الأول من عام 1922، نشرت صحيفة «العراق» اليومية دعوة فيصل للجمهور للمشاركة في انتخاب الجمعية. في نظر المجتهدين، وكما تمّ الكشف عنه لاحقًا، أنّ المعاهدة كانت «تدخلًا صارخًا من قبل البريطانيين في الشؤون العراقية». كان ينظر إليها على أنّها تهديد لقلعة الإسلام. لذلك، فإن كانت وبمخالفة صراحة لسلطة الملك في شهر تشرين الثاني من عام 1922، أصدر «الخالصي» و«الأصفهاني» و«النائيني» سلسلة من الفتاوى التي اعترضت على المشاركة في الانتخابات التالية.

على سبيل المثال، ردًا على استفسارات متابعيهم الذين يطلبون توجيهات بشأن الانتخابات، ذكر المجتهدون الثلاثة: «لقد أمرنا بحظر الانتخابات والمشاركة فيها من قبل الأمة العراقية كلّها. ذلك أن من يشارك فيها أو يقدم أدنى مساعدة سوف يعصي الله ورسوله والأئمة».

علاوة على ذلك، تواصل «الخالصي» مع وجهاء السنة وشيوخ القبائل لدعمهم لأحكام مماثلة، مما أثار مخاوف حكومية كبيرة.

أدى تصعيد المعارضة للانتخابات إلى جعل حكومة «عبد المحسن سعدون» (الذي كان في السلطة من عام 1922 إلى عام 1929) القيام بتنظيم حملة تطالب بترحيل المجتهدين الذين كانوا «رعايا فارسيين» والذين لم يكونوا ليمتنعوا عن التدخل في السياسة الوطنية للعراق. في هذا، حصلت الحكومة على موافقة الملك أيضًا. كان في شهر كانون الأول من عام 1921، في مناقشة مع السير «بيرسي لورين» (Sir Percy Loraine)، السفير البريطاني

الذي كان قد عُيِّنَ حديثاً في إيران، صرَّح «فيصل» بوضوح أنه إن لم يتم كسر تأثير المجتهدين، «فلا يمكن إحراز تقدّم مرضٍ في الشؤون الفارسية»، ناهيك عن الشؤون العراقية من جانبه.

بعد دعوة الحكومة، طُرد الخالصي من العراق في 24 حزيران من عام 1923. وفي محاولة لاحتواء أي اضطراب محتمل، برّرت الحكومة موقفها وأعلنت أنه من غير المقبول أن مجموعة من الغرباء، الذين ليس لديهم أيّ مصلحة في استقلال المملكة العربية، افتعال كلماتهم المروعة باسم الإسلام ونشرها على الجدران. ولكن للردّ على ما كان يُنظر إليه على أنه عملٌ حكوميٌّ مناهضٌ للإسلام، هاجر مجتهدان بارزان من النجف، «الأصفهاني» و«النائني» برفقة حاشيتهما إلى كربلاء -حيث كان غالبية السكان فارسيين- بهدف تنظيم حركة شعبية ضدّ الحكومة.

على الرغم من هذا الجهد، كانت حملة الحكومة ضدّ المجتهدين فعّالة، وفشلوا في كسب دائرة ذات مغزى. وأكد أحد تلامذة «النائني»، الذي كان موجوداً في كربلاء في ذلك الوقت، هذه المحاولة العقيمة:

«لم يقف أحد خلف «النائني» و«الأصفهاني»، ولم يتم إغلاق أي متجر في دعمهم، ولم يُرفع صوت ضدّ الحكومة. لذا، أمر المحافظ السيارات بحمل الاثني ورفاقهما العلماء إلى حدود إيران... شهد الناس غير المخلصين هذا ولوحوا لهم كلفتة وداع.

بعد فوات الأوان، أدرك المجتهدون أنه كان يجب ألا يغادروا النجف أبداً احتجاجاً. في حديث مع ضابط إيراني في مدينة كرمانشاه الحدودية، قال «الأصفهاني» و«النائني» ما يلي:

«لسنا مستعدين لإحداث أيّ خلاف بين حكومتي العراق وإيران. ولكن النجف -التي هي قلعة الإسلام ومركز العلوم- يجب أن لا تُهجر، فمن المناسب للحكومة الإسلامية المحترمة في إيران أن تتخذ ترتيبات لعودة السيد «الخالصي» إلى منزله [في العراق]، وأيضاً لتدبير عودة لائحة لنا إلى النجف، بعد زيارة الأماكن المقدسة في إيران، بطريقة تستحق مكانة رجال الدين المسلمين».

في نهاية المطاف، غادر «الأصفهاني» و«النائني»، إلى جانب عدد قليل من المجتهدين الشيعة الآخرين، الحدود إلى قم. على الرغم من الترحيب بمجموعة المهاجرين المجتهدين من قبل زملائهم في قم، فإن إيران نفسها كانت غارقة في الفوضى في الأشهر الأخيرة من حكم «سلالة قاجار». ولكن بدأ المجتهدان المهاجران حلقاتهما التدريسية في مدرسة قم التي كانت تبلغ من العمر عاماً واحداً. كان هذا بمثابة نهاية المشروع الإسلامي السياسي للمجتهدين الشيعة في أوائل القرن العشرين في العراق.

أثارت شائعات طرد المجتهدين من العراق عاصفة من السخط بين الجمهور الإيراني. انزعجت الحكومتان مع المسؤولين البريطانيين في إيران والعراق بشأن إقامتهم في قم. وردّاً على مخاوف «أحمد شاه قاجار» بشأن نزوح المجتهدين من العراق، أعلن «فيصل» صراحة أن حكومة العراق ستحترم المواقف الدينية للعالمين وسيكونان على

استعداد لإعادة النظر في عودتهما، ولكن هذا لا يمكن تحقيقه إلا بعد إنشاء الجمعية التأسيسية وشؤونها ذات الصلة». في حين لم يكن هناك احتمال لعودة المجتهدين إلى العراق في ذلك الوقت، أطلقت حكومة العراق الانتخابات وعقدت الجمعية، التي صدّقت فيما بعد على المعاهدة الأنجلو-عراقية في شهر حزيران من عام 1924.

كان تحوّل الأحداث ظاهرياً مصدر ارتباك للمجتهدين المهاجرين. وسرعان ما أصبح واضحاً لهما أنهما شاركا بشكل غير مقصود في معارضة المعاهدة، وهو إجراء لم تدعمه فيه النخب العراقية. على النقيض، والأهم من ذلك، الحوزة في النجف والمجتمع الشيعي في العراق، وهي حالات واضحة على أنها قلعة الإسلام، كانت مهتدة بينما المجتهدين الرئيسيين كانا على بعد أميال في قم. فبدونهم أصبحت إدارة الشؤون الروتينية للحوزة وتخصيص الضرائب الدينية للطلاب موضع شك. علاوة على ذلك، بدأت مجموعات من الطلاب المتدينين في مغادرة النجف لحضور محاضرات «الأصفهاني» و«النائيني» في قم. هذا الاتجاه للهجرة الجماعية من النجف إلى قم سيؤدّي في النهاية إلى تفكيك أبرز مركز تعليمي شيعي في ذلك الوقت، ويشكل تهديداً كبيراً لقلعة الإسلام كما كان يراها المجتهدان المنفيان ذاتياً.



المحقق محمد حسين النائيني الغروي

ونتيجة لذلك، بعد التصديق على المعاهدة في العراق، سعى «الأصفهاني» و«النائيني» إلى طريقة للعودة إلى العراق. بالإضافة إلى ذلك، حتى يتحلّى فيصل وحكمه بالقوة، كان عليه أن يتوصّل إلى اتفاق مع المجتهدين الشيعيين، اللذين ما زالا يسيطران على دائرة شعبية كبيرة تشمل الكثير من سكان العراق، وتخفيف التوتر مع إيران المجاورة. أدّى الهمّ المشترك إلى سلسلة من المفاوضات السرية بين مبعوث فيصل والمجتهدين. في نهاية المطاف، وفي شهر آذار من عام 1924، أرسل «الأصفهاني» و«النائيني» رسائل بعنوان «جلالة ملك العراق، أعان الله حكمه وحكومته» ووعدا بتقاعدهما من السياسة إذا سمح لهم الملك بالعودة إلى النجف. وفيما يلي مقتطف من رسالة «الأصفهاني» إلى «فيصل»:

«وبأننا نعد بعدم التدخل في السياسة الداخلية والامتناع عن تلك الأمور ذات الصلة بالعراقيين ... نحن لسنا مسؤولين عن هذه، التي هي فقط على جلالتك والأمة العراقية ... ولكننا مطالبين دينياً، مع ذلك، بدعم الملكية الهاشمية.

وقد أثمرت المفاوضات والالتزام اللاحق لـ «الأصفهاني» و«النائيني» بالامتناع عن الخوض في الأمور السياسية، وعاد المجتهدان إلى العراق في أواخر شهر نيسان من عام 1924 ليقيما ثانية

في حوزة النجف. سلك المجتهدان وضعين سياسيين لحماية الوجود الشيعي في العراق، لحماية الحوزة، في ما اعتبروه حالة قلعة الإسلام.

إنّ العقد من 1914 إلى 1924 في العراق هو واحد من أكثر الوقائع استثنائية في التاريخ الحديث للمجتهدين الشيعيين فيما يتعلق بتصورهما لما يشكل قلعة الإسلام، والإجراءات التي اتخذها لحماية نفسها. في البداية، انخرط المجتهدون الشيعة في العراق بنشاط في السياسة من خلال فتوى «اليزدي» على أساس حماية قلعة الإسلام. وبعد عشر سنوات، أعطى «الأصفهاني» و«النائيني» وعدداً مكتوباً بأنهما لن يتدخلوا في الأمور السياسية، وقرراً الحفاظ على موقف مُهادن لحماية حوزة النجف التي كانت آنذاك، في نظرهما، حالة واضحة لقلعة الإسلام. لذلك، يبدو أنّ حماية قلعة الإسلام مبدأ استثنائي في الفقه السياسي الشيعي يمكن أن يشكل تصوّر مجتهد للحاجة في سياق معينٍ إمّا أن يصبح نشاطاً سياسياً أو يبقى مُهادناً.

خاتمة

على الرغم من وجود تلميحات في الأدب الشيعي المبكر إلى مفهوم «قلعة الإسلام»، إلا أنّها لعبت منذ القرن التاسع عشر دوراً بارزاً بشكل متزايد في تشكيل خوض المجتهدين الشيعة في الشؤون الاجتماعية السياسية. كما هو موضح هنا، فإنّ المواقف المهادنة و/ أو الناشطة التي يضطلع بها أيّ مجتهد في سياق معين ليست سوى خطوات تكتيكية تجاه ما يعتبره أكثر ملاءمة لحماية قلعة الإسلام. يقول المجتهدون الشيعة بأنّ الوفاء بهذه المسؤولية يحلّ محلّ أيّ عمل آخر من أفعالهم كحراس للدين ومجتمع الموالين. ومن ثم، فإنّ النشاط السياسي لليزدي والمهادنة من قبل «الأصفهاني» و«النائيني» كانا موقفان مناسبان مفترضان رداً على التهديدات المتصورة لقلعة الإسلام في سياقات مختلفة. ولحمايتها، أصدر الأوّل فتوى تجيز الجهاد، وهي أقصى حالة من النشاط السياسي من جانب المجتهدين الشيعة، في حين قرّر المجتهدان اللاحقان الامتناع عن السياسة.

يستتبع العقيدة الشيعية السائدة أنّه في إرث النبي، الأئمة المعصومون، كمرشدين صالحين للمجتمع الإسلامي، هم مسؤولون عن حماية قلعة الإسلام وحماية المجتمع. ولكن مثل العديد من المسؤوليات الأخرى، مع الغياب للإمام الأخير، تم نقل هذه المسؤولية إلى نوابهم العامين، المعروفين بالمجتهدين. ضرورة وأولوية هذه المسؤولية استثنائية في الفقه السياسي الشيعي وتلغي أي أحكام متضاربة أخرى.

في الواقع، طالما أنّ المجتهدين يدعون التفويض العام للأئمة المعصومين، فإنّ السلطة الدينية الشيعية، ككيان في حدّ ذاته، تعتبر حالة أخرى لقلعة الإسلام. وبما أنّ المجتمع يواجه غياب إمامه المعصوم، فإنّ نوابه يكتسبون هذه السلطة الخاصة ويتبعهم وضعهم أيضاً. في هذه الحالة، فإنّ أيّ محاولة لإضعاف السلطة الدينية وإلحاق الضرر باتساقها سوف ينظر إليها المجتهدون على أنّها تهديدٌ لسلامة قلعة الإسلام ويجب تجنبها.

النتيجة المنطقية لهذا في الزمن المعاصر هي حماية الدولة التي أنشأها المجتهدون، الدولة الإسلامية الشيعية. بقدر ما تتشابك مكانة السلطة الدينية الشيعية مع ما يسمى بالدولة، فإنّ حمايتها من التهديدات المحتملة التي يفرضها الأجنبي تصبح مساوية لحماية الإسلام والمجتمع. بصفتهم حماة قلعة الإسلام حتى ظهور الإمام الثاني عشر، كان المجتهدون الشيعة يستخدمون مواردهم لحماية الدولة الشيعية. في حين أنّ إقامة دولة إسلامية شيعية ليس بالضرورة عملاً سياسياً لحماية قلعة الإسلام، بمجرد إنشاء الدولة، يصبح المجتهدون الشيعة يقظين ومتوافقين بالإجماع لجهة أمنها وتميبتها، حيث يستجيب هذا لمبدأ حماية قلعة الإسلام.

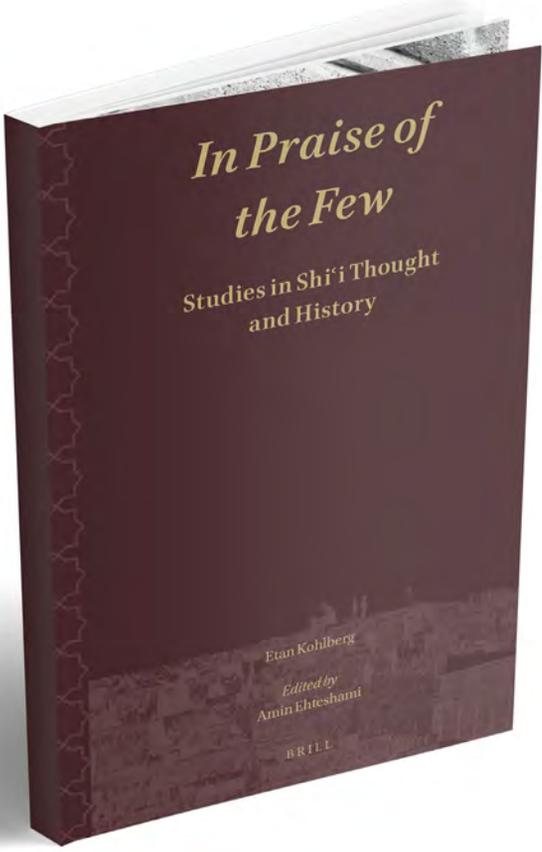
خلال العقود الأربعة الماضية، بعد إنشاء جمهورية إيران الإسلامية تحت قيادة «آية الله الخميني»، وصف تيار من المذهب الشيعي الدولة الشيعية بأنّها حالة قلعة الإسلام، ما جعلها ملزمة لجميع الشيعة بحمايتها من تهديدات الغرباء؛ لأنّ حمايتها هي حماية الإسلام الشيعي. بمعنى آخر، بعد قيام دولة إسلامية شيعية، تُحقّق الدولة مكانة أنّها قلعة للإسلام. خاطب «الخميني» مجموعات من المسؤولين التنفيذيين في الجمهورية الإسلامية مُحدّراً في عام 1982، لضرورة حماية الجمهورية الإسلامية؛ لأنّه بتدميرها، «سيتمّ عزل الإسلام بطريقة لا يمكنها رفع صوتها حتى نهاية الزمان».



في مدح القليل:

دراسات في الفكر الشيعي والتاريخ

IN PRAISE OF THE FEW. STUDIES IN SHI'Ī THOUGHT AND HISTORY⁽¹⁾

<p>Thought and History In Praise of the Few. Studies in Shi'ī</p>	<p>عنوان الكتاب: في مدح القليل. دراسات في الفكر الشيعي والتاريخ</p>
	<p>المؤلف: إتان كولبرغ أستاذ فخري للدراسات العربية والإسلامية في الجامعة العبرية في القدس، يركز بحثه بشكل أساسي على العقيدة والتاريخ والأدب الشيعي. المحرر: أمين احتشامي هو زميل ما بعد الدكتوراه في جامعة إكستر. مجالات بحثه الرئيسية هي التفسير واللاهوت والفقه. حصل على درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية من جامعة كاليفورنيا في بيركلي.</p>

(1) <https://brill.com/view/title/55554?rskey=8ymol3&result=3&contents=toc-20346>

اللغة الكتاب	الإنجليزية
السلسلة	الإسلام الشيعي نصوص ودراسات
شكل الكتاب	ورقي-رقمي
تاريخ النشر	7 ماي 2020
عدد الصفحات	642
رقم الطبعة	1
الناشر	BRILL
ISBN	4-40696-04-90-978

صدر حديثاً كتاب «في مدح القليل: دراسات في الفكر الشيعي والتاريخ» وهو عبارة عن مجموعة مختارة من أبحاث المتخصص في الدراسات العربية والإسلامية إتان كولبرغ (Etan Kohlberg)، وهي أبحاث تتمحور حول الإسلام الشيعي قام كولبرغ بتأليفها على مدى خمسين سنة. ويتضمن هذا الكتاب مقالات منشورة سابقاً، وفصول أطروحة منقحة، وبليوغرافيا كاملة لعمل المؤلف. وينقسم الكتاب إلى قسمين: يحتوي القسم الأول على فصول من أطروحة كولبرغ في الدكتوراه بأكسفورد (1971)، ومقالات ذات صلة تحقق في وجهات النظر السنّية والشيعية حول الصحابة والنقاشات المتعلقة بمدى سلطتهم كمصادر للمعرفة الدينية. ويتتبع القسم الثاني التطورات العقائدية والتاريخية المتعلقة بأبعاد مختلفة من التقاليد الفكرية للشيعية الإمامية، مثل اللاهوت والحديث والقانون والفقه والتفسير.

محتوى الكتاب:

- مقدمة، بقلم أمين احتشامي
- القسم الأول: وجهات نظر الشيعة حول الصحابة:
- مقدّمة (الصفحات: 3-5)
- آراء سنّية حول الصحابة (الصفحات: 7-34)
- آراء المعتزلة حول الصحابة (الصفحات: 35-50)
- بعض آراء الشيعة الإماميين حول الصحابة (الصفحات: 51-84)
- آراء الإمام الشيعي حول المشاركين في معارك البعير وشيفون (الصفحات: 85-109)
- الصحابة المقبولون (الصفحات: 110-132)
- الصحابة كسلطات (الصفحات: 133-149)



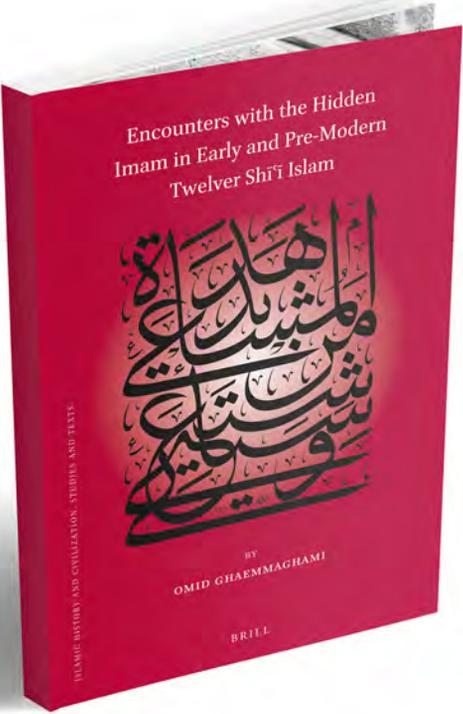
- بعض آراء الزيديين حول الصحابة (الصفحات: 150-159)
- مصطلح «رافضة» في استعمال الشيعة الإمامية (الصفحات: 160-165)
- **القسم الثاني: التطورات العقائدية للشيعة الإمامية:**
- تطوّر الشيعة (الصفحات: 169-186)
- الإمام والمجتمع في فترة ما قبل الغيبة (الصفحات: 187-212)
- من الإمامية إلى الاثني عشرية (الصفحات: 213-228)
- التوثيق المبكر لمصطلح «اثنا عشرية» (الصفحات: 229-241)
- مصطلح «محدث» في الشيعة الإثني عشرية (الصفحات: 242-249)
- في مدح القليل (الصفحات: 250-265)
- التقيّة في اللاهوت والدين الشيعيين (الصفحات: 266-299)
- علي بن موسى بن طاووس وجدله ضدّ السنة (الصفحات: 300-326)
- بعض وجهات النظر الشيعية للعالم القديم (الصفحات: 327-348)
- الكتابات الرسمية في الشيعة الإمامية المبكرة (الصفحات: 349-364)
- الرؤية والأئمة (الصفحات: 365-393)
- إسناد شيعي غير عادي (الصفحات: 394-402)
- الأصول الأربعمئة (الصفحات: 403-438)
- تقليد أبو بصير: آيات قرآنية على مزايا الشيعة (الصفحات: 439-457)
- تطوّر الجهاد في العقيدة الشيعية الإمامية (الصفحات: 458-479)
- مكانة ولد الزنا عند الشيعة الإمامية (الصفحات: 480-521)
- جوانب الفكر الأخباري في القرنين السابع عشر والثامن عشر (الصفحات: 522-546)

الملحق

- شكر وتقدير، حقوق النشر (الصفحات: 547-548)
- قائمة منشورات إيتان كولبرغ (الصفحات: 549-559)
- قراءات أخرى (الصفحات: 560-569)
- بيبليوغرافيا
- فهرس المراجع القرآنية
- فهرس

لقاءات مع الإمام الغائب في الإسلام الشيعي الإثني عشري الأولي وما قبل الحديث

ENCOUNTERS WITH THE HIDDEN IMAM IN EARLY AND PRE-
MODERN TWELVER SHII ISLAM⁽¹⁾

<p>Encounters With the Hidden Imam in Early and Pre-modern Twelver Shii Islam</p>	<p>عنوان الكتاب: لقاءات مع الإمام الغائب في الإسلام الشيعي الإثني عشري الأولي وما قبل الحديث</p>
	<p>الكاتب: أوميد غامّاغامي ((Omid Ghaemmaghami- mi: أستاذ دراسات اللغة العربية والشرق الأوسط في جامعة ولاية نيويورك في بينغهامتون، الولايات المتحدة الأمريكية</p>

(1) <https://www.amazon.in/Encounters-Pre-modern-Twelver-Islamic-Civilization/dp/9004340483>

لغة الكتاب	الإنجليزية
السلسلة	سلسلة التاريخ والحضارة الإسلامية، العدد 167
شكل الكتاب	ورقي-رقمي
تاريخ النشر	13/02/2020
عدد الصفحات	276
رقم الطبعة	1
الناشر	Brill
ISBN	978-90-04-34048-0

كان موضوع الإمام الغائب من أكثر المواضيع إثارة للاهتمام بين بعض مراكز البحث الغربية في العقود الأخيرة. وقد تمّ نشر كتب في هذا المجال، مثل كتاب «الإرشاد الإلهي في التشيع الأول» للدكتور محمد علي أمير معزي، وكتاب «المدرسة في طور التطور» للدكتور موديسي طباطبائي، ونظرت فيها الجمعيات العلمية الغربية. وفي المجال نفسه جاء كتاب «لقاءات مع الإمام الغائب في الإسلام الشيعي الإثني عشري الأولي وما قبل الحديث» لأستاذ الدراسات العربية في جامعة نيويورك أواميد غامغامامي. وقد تمّ نشر الكتاب بمطبعة بريل، التي لها تاريخ طويل في نشر أعمال الدراسات الإسلامية الغربية، من بينها كتب مهمّة في مجال الشيعة.

علّق وليام ف. تاكر⁽¹⁾ (William F. Tucker) على الكتاب فقال: «في الوقت الذي يُعتبر فيه الإسلام الشيعي قوّة دينيّة وأيديولوجيّة رئيسيّة في الشرق الأوسط، يُشكّل هذا الكتاب إضافة مهمّة جدًّا للأدبيات العلميّة حول هذا الموضوع. [إنه] رائع في عرضه وتحليله لمجموعة واسعة النطاق من المصادر الأوليّة والثانويّة، وهو قوي بشكل خاص في عدد المصادر العربية والفارسية وطبيعتها، التي تضمّ أطروحات دينيّة ومجموعات الحديث وقواميس السيرة الذاتية (كتب علم الرجال) ما قبل الحديث والحديثة. إنّ الكتاب هو واحد من أفضل الكتب حول الفكر الشيعي التي قرأتها مؤخرًا أو في هذا الصدد، هو من أفضل الكتب في أي وقت».

(1) أستاذ في جامعة أركنساو، ومؤلف كتاب «المهدويون ونبوءة عودة المسيح: المتطرفون الشيعة في بدايات العراق المسلم»، مطبعة جامعة كامبريدج، 2008.

وقد توزّع الكتاب على العناوين الآتية:

المقدمة

- المجهول، غير المرئي وغير المعترف به
- الخفي عن الجميع، ولكن هل رآه البعض؟ الحالة الخاصة للأحاديث الثلاثة
- «مدّعٍ مُنتظرٍ»
- من الشباب والحجر إلى انتشار الروايات
- خاتمة

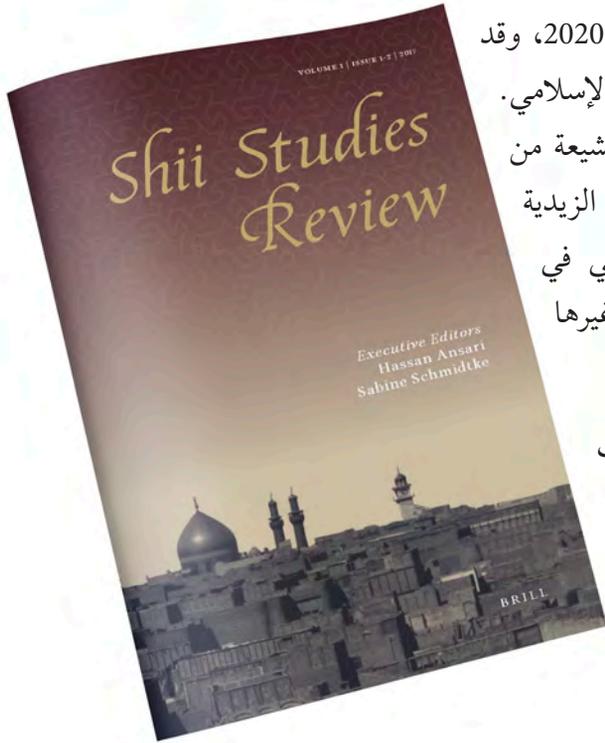
الملحق:

- قائمة دليل وصفية لبعض المصادر الرئيسية التي تُعنى بموضوع مقابلات مع الإمام الغائب
- تعليق المجلسي حول «المدّعي المنتظر» مرور التوقيع الأخير للإمام الغائب
- السبيليوغرافيا
- الفهارس



مجلة الدراسات الشيعية

SHII STUDIES REVIEW⁽¹⁾



صدر العدد الرابع من «مجلة دراسات شيعية»⁽²⁾ في جوان 2020، وقد شارك فيه باحثون ومفكرون من أوروبا وأميركا والعالمين العربي والإسلامي. وتضمّن العدد مجموعة مختلفة من الدراسات أضاءت على الشيعة من جوانب مختلفة، من قبيل تأويل القرآن عند الشيعة، والخطابات الزيدية والإمامية، وتقرير حول مؤتمر «الاقتراب من الإسلام الشيعي في الأكاديمية» المنعقد في مركز جامعة ليدن للإسلام والمجتمع، وغيرها من المواضيع.

في ما يلي نعرض إلى مضامين مختصرة للأبحاث والدراسات الواردة تبعاً في المجلة مع مراعاة عرض المادة المشفرة بالحدّ المتوفّر، ومن ثمّ تقديم تفصيل أكبر في المادة التي تمكّننا من الحصول عليها تامّة أو مجتزأة:

بداية، نعرض لعناوين الدراسات التي لم تتوفّر مادتها عندنا، وهي كالآتي:

- إبراهيم والبحث عن الكاريزما والشرعية في الخطابات الزيدية والإمامية

بقلم: ماهر جرار

- آيات في غير محلها: تأويل قرآني لمقاربة شيعية مبكرة

بقلم: جوزيف ويتسم

- من أجل الإمام الرضيع: تطور تقاليد الملاك الضال

(1) <https://brill.com/view/journals/ssr/42-1/ssr.4.issue-12-.xml>

(2) هي مجلة محكمة تضم هيئة تحريرية واستشارية دولية، وتوفّر منتدىً علمياً للباحثين المنخصّين في جميع مجالات الدراسات الشيعية. راجع العدد الأوّل من هذه النشرة، ص 36.

بقلم: ديما أحمد المعلم

- اللاهوت الإسلامي في ثلاثين موضوع: تقليد زيدي يماني محفوظ في مكتبة أمبروسيانا

بقلم: سكوت لوكاس

- ولم يكن بذلك: ردّ على مراجعة ويلفرد ماديلينغ حول الإمامة والغيب وفقاً للإمامية

بقلم: حسن أنصاري

- تقرير ورشة العمل، «جذور الحوثيين في اليمن: التاريخ والذاكرة والاستمرارية والتمزق»، معهد الأنثروبولوجيا الاجتماعية في الأكاديمية النمساوية للعلوم في فيينا، 5 سبتمبر 2019.

بقلم: ماريك براندت

- للبيع لأعلى مزيد: مخطوطة شيعية ثمينة من أوائل القرن الحادي عشر

بقلم: سايبين شميدتك

قراءات في كتب:

- آيات الله الوطنيون: القومية في عراق ما بعد صدام، تأليف كارولين مرجي صايح، بقلم: كريستوفر أنزالون

- شركاء زينب: منظور جندي للعقيدة الشيعية، تأليف ديان دسوزا، بقلم: سيد أكبر حيدر

- إثبات الله: التصوّف الشيعي من خلال عمل الكليني في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، تأليف محمد علي أمير معزي، بقلم: علي رضا رزق

ونقوم في ما يلي بعرض تفصيلي لما ورد في هذا العدد وتحصلنا على مادته كاملة أو مجتزأة:

- أهل بيت النبي: تعابير شعرية وفنية للإسلام الشيعي

تقدّم فوشسيا هارت (Fuchsia Hart) قراءة لكتاب «أهل بيت النبي: تعابير شعرية وفنية للإسلام الشيعي» الذي قامت بتحريره فهميدة سليمان، وطبع في لندن: طبعات آذيموس (Azimuth) بالتعاون مع «معهد الدراسات الإسماعيلية» وقسم الشرق الأوسط بالمتحف البريطاني، سنة 2015.

يمثّل هذا الكتاب نتاج مؤتمر استمرّ ثلاثة أيام بعنوان «أهل البيت النبي: الفن والعمارة والشيعية في العالم الإسلامي»، والذي عُقد في المتحف البريطاني في شهر آذار 2009، برعاية من معهد الدراسات الإسماعيلية. ويتألف الكتاب من اثنين وعشرين مقالة، ويستفيد من مجموعة واسعة من المقاربات،



بمساهمات من الفن والتاريخ المعماري، والأنثروبولوجيا، والدراسات الإسلامية، والمسكوكات، ودراسات الأفلام، والفن المعاصر. كما يُعطي الكتاب نظرة واسعة من حيث الجغرافيا والفترة الزمنية، تضمّ سلالات مثل البويهية، والباوندية (Bavandids)، والإدرسية، والفاطمية، والصفوية، والقاجارية، وجمهورية إيران الإسلامية. وقد تمّ تجميع المقالات حسب الموضوعات الرئيسية: الحج والرعاية، النقوش، الأيقونات، التعبيرات الشعائرية.

في المقدمة، سلّطت «فهميدا سليمان» و«شينول جيوا» (Shainool Jiwa) الضوء على المواضيع الرئيسية من قبيل استخدام الآيات القرآنية والحديث كنصوص للبرهان، وانتشار معركة كربلاء، والفن والعمارة المرتبطة بالأئمة وذريتهم، والطريقة التي يتخطى بها الحب لأهل البيت الانقسام السني الشيعي.

في مقال تمهيدي ثانٍ، يطرح «أوليف جرابار» (Oleg Grabar) السؤال الذي يتردد في كامل الكتاب: هل هناك أشكال شيعية للفن؟ ويتابع ليضع أربعة «مبادئ عريضة أو فرضيات أو أسس بناء» أمام القارئ. يقترح «جرابار» أنّ الفن يمكن أن يكون على وجه التحديد شيعي من خلال وضع العلامات، أي النقوش، أو يمكن أن يكون شيعي فطري بطريقة ما، مثل حجر التربة للصلاة الذي يستخدمه المسلمون الشيعة فقط. ثم يواصل دراسة ما إذا كانت الأشكال والسمات الفنية المحددة يمكن أن تكون صراحة أو بطبيعتها شيعية، أي قباب المدافن وزخرفة السطح الهندسي. في حين أنّ الاقتراحين الأولين - أي ما له علاقة بشأن وضع العلامات والوظائف - فهما معقولان، ذلك لأن حجج «غرابار» فيما يتعلق بالشخصية الشيعية لقبب المدافن والديكور الهندسي فهما أقل إقناعاً.

يتألف القسم الأوّل من الكتاب من مجموعة مقالات تتموضع حول الحج والرعاية، وهي مقالات كلّ من «جيمس ألان» (James Allan)، و«ياسر طبع» (Yasser Tabaa)، و«جوناثان بلوم» (Jonathan Bloom)، و«روبرت هيلينبراند» (Robert Hillenbrand)، والراحلة «ميلاني ميخيليديز» (Melanie Michailidis).

يتناول عددٌ من هذه المقالات الطرق التي تتحدّى بها الأشكال المعمارية والسمات والرعاية، وكذلك ممارسات الحج، التعريف السهل على أنها شيعية. وتركز مقالة «ألان» (Allan) على أكثر المواقع الشيعية على ما يبدو، والأضرحة الرئيسية في النجف، وكربلاء، والكاظمية، وسامراء، ولكن يظهر مقاله أن الحكام السنة كانوا أيضاً رعاة رئيسيين لهذه المواقع.

تستجيب دراسة «ياسر طبع» (Yasser Tabaa) بشأن أضرحة شيشاناً لأضرحة الشيعة في سوريا على الأسئلة المطروحة في الكتاب من خلال إثباتها على أنّه من دون الإصرار على الأشكال المعمارية والسمات الشيعية بطبيعتها، من الممكن مقارنة هذه المباني من خلال دراسة علاقتها المنطقية الجدلية غير المباشرة مع الفكر الشيعي. يجادل «الطباع» بأنّ علينا أن ننظر إلى هذه المباني من منظورٍ شكليٍّ أقلّ صرامة، وبدلاً من ذلك ينبغي أن نأخذ معتقدات الشيعة بعين الاعتبار.

في القسم الثاني، تتناول «شيليا كانبي» (Sheila Canby) و«شيليا بلير» (Sheila Blair) و«حسين كيشاني» (Hussein Keshani) و«لوك تريديويل» (Luke Treadwell)، مناقشة موضوع كتابات النقوش. فتتساءل «كانبي» (Canby) في

مقالها عن وجود أساليب خطوط شيعية مميّزة حول نسخ من القرآن تحمل توقعات «إمامية»، في حين أنّها سرعان ما تشير إلى أن نسخ القرآن في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين لا تُظهر أي ميول مذهبية في أنماطها، ولكن نُسخ القرآن التي يحمل التوقعات المفترضة للأئمة هي أشياء مهمّة للمسلمين الشيعة. تواصل «بلير» (Blair) التركيز على القرآن ولكن في سياق النقوش. فتركز إلى حدّ كبير على المباني من القرن العاشر إلى القرن السادس عشر في إيران، وتناقش مسألة ما إذا كانت بعض الأشكال والميزات محفوظة حصراً للاستخدام الشيعي. ترفض الادعاءات القائلة بأنّ البلاط اللامع في القرنين الثالث عشر والرابع عشر كان له دلالات شيعية على وجه التحديد من خلال النظر في حالة مرقد الشيخ السهراوردي والشيخ نور الدين عبد الصمد في «نطنز» (Natanz) في وسط إيران. من المحتمل أن يكون قد تابع المدرسة الشافعية ولكن أيضاً كان يحتفظ بتقدير كبير بالخصوص للإمام علي وذريته.

القسم الثالث، عن الأيقونات، يتضمّن مقالات كتبها «معصومة فرهاد» (Massumeh Farhad)، «مريم اختيار» (Maryam Ekhtiar)، «فينيسيا بوتر» (Venetia Porter)، «زينب يوركلي» (Zeynep Yürekli)، و«فهميدا سليمان» (Fahmida Suleman). تدرس «يوركلي» أهمية «ذو الفقار» كرمز ليس في السياق الشيعي فقط، بل في السياق السني أيضاً، والعثماني على وجه التحديد. توضّح «يوركلي» كيف اختار العثمانيون السنة هذا الرمز لأهل البيت، ويصوّره بشكلٍ متكرّرٍ أكثر من نظرائهم الشيعة الصفويين طوال القرن السادس عشر.

تركز المجموعة الأخيرة من المقالات، بقلم «بيتر تشيلكوسكي» (Peter (Chelkowski)، و«إنجفيلد فلاسكيرو» (Ingvild Flakerud)، و«نسيم باك شيراز» (Nacim Pak-Shiraz)، و«ترينا ليونز» (Tryna Lyons)، و«أمير سعدالله» (Amier Saidula)، و«مارا ليختمان» (Mara Leichtman)، على التعبير الأدبي والشعائري للشيعة. تقدم «إنجفيلد فلاسكيرو» (Ingvild Flakerud) دراسة تضيئ على الأداء الشعائري لـ«عرس القاسم». هذا التعبير المسرحي عن التقوى هو جزء من نوع التعزية، ولكنّه يصوّر الرواية غير المعروفة من زواج ابن الإمام الحسن، القاسم، من ابنة عمّه فاطمة.

إجمالاً، الكتاب أكثر شمولاً بكثير من الفنّ والثقافة الماديّة للشيعة الإيرانية، الذي حرّره «بيدرام خسرونجد» (Pedram Khosronejad) (لندن، 2012)، و«جيمس ألان» (James Allan) السابق بعنوان «فن العمارة الشيعية الإثني عشرية» (The Art and Architecture of Twelver Shi'ism) (لندن، 2012). المقالات مصحوبة بقاموس كامل، بالإضافة إلى خرائط مفيدة وجداول أنساب. المساهمات موضّحة بأكثر من متّي صورة ملوّنة عالية الجودة.

ولكن إلى أيّ مدى يقترب بنا المجلّد من الإجابة على سؤال «غرابار» (Grabar) فيما يتعلق بوجود أشكال فنيّة شيعيّة على وجه التحديد؟ يوضّح أنّه على الرغم من أن دراسات الأشياء أو المباني التي يحتمل أن تكون شيعيّة قابلة للحياة، ويمكن أن تكون مثمرة للغاية، إلا أنه يصعب في كثير من الأحيان القول بشكل قاطع أنّ أيّ شكل أو ميزة فنيّة معيّنة تكون مميزة أو متأصلة شيعياً. في الواقع، توضّح المساهمات في هذا المجلّد أنّ سؤال



«غرابار» (Grabar) قد لا يكون الطريقة المثلى للوصول إلى نتيجة للتعامل مع المواد التي تمت دراستها هنا. العديد من الأشياء أو المباني التي هي موضع السؤال، أو كان لها، معنى وأهمية للمسلمين السنة أيضاً، تعطي دراستها من خلال النظرة الشيعية رؤى مثيرة للاهتمام، إما عن الأشياء نفسها أو على العكس، حول بيئة شيعية تم إنتاجها فيها أو استخدامها. كما يُظهر «الطباع» أنّ غالباً ما يكون البحث عن أدلة على الشيعة في الدراسات الشكلية عبثاً. ولكن عند الاقتراب من إطار عمل مبني على اعتقاد أو قانون أو ممارسة، يمكن وصف العديد من الأشياء والمباني التي تمت مناقشتها في هذا المجلد بأنها شيعية بشكل واضح.

مثلما أن دراسات الشيعة هي مجال ناشئ، كذلك هي دراسة الفنون والثقافة المادية للشيعة. بشكل عام، يوقّر هذا المجلد الواسع النطاق والمنتج جيداً ثقلاً موازناً مطلوباً بشدة لانتشار المنح الدراسية حول فن وهندسة السلالات والسياسات السنّية. يجب أن يكون هذا المجلد ذا فائدة كبيرة واهتماماً لأولئك الذين يبحثون في مجال التشيع وتاريخه، ولكنهم أقلّ دراية بالثقافة المادية التي غالباً ما تُسهّل أو تُساعد الجوانب الرئيسية للفكر والممارسة.

- الأئمة والغلاة تأملات جديدة حول العلاقة بين المذهب الإمامي «المعتدل» والمذهب الشيعي «الغالي»

مقالة للباحث الفرنسي ذي الأصول الإيرانية محمد علي أمير معزّي، وفيها ينظر في التعقيد والخلط الذين يميّزان مفهوم الغلو، من خلال دراسة الكتب المتخصصة في البدع والعقائد المنحرفة على أنواعها. تُبيّن الدراسة أنّ كلّ الروايات التي تُوصف بأنها من «الغلو» يتم إدخالها بطريقة أو بأخرى في متون النصوص العقدية الشيعية «المعتدلة»؛ كلّها عدا موضوع واحد: antinomisme⁽¹⁾ (إباحة). في العصر الذي تلا حكم البويحيين، كان الغلو أساساً هو الإباحة؟ يتعلّق الأمر بإشكالية جديدة تُضاف إلى ملف فرضية الكاتب، التي جرى بحثها في عدّة دراسات سابقة، والتي تقول بأنّ ثمة تمييز واضح بين المذهب الشيعي «المعتدل» والمذهب الشيعي «الغالي»، تمييز يبدو متأخراً وموجّه أيديولوجياً.

في السنوات الأخيرة نشأ اهتمام جديد بالغلو الشيعي. وظهرت عدّة دراسات أثرت البحث حول التيار الديني البارز الذي يُسمّى «الغلو»، وأتباعه «الغلاة»، ويقال له المذهب الشيعي وأتباعه الشيعة الذين يُزعم أنّهم مُتطرفون أو «غلاة». ثمة عدد كبير من العناصر التاريخية والعقدية والأنثروبولوجية أو الطقوسية الخاصة بحركات متنوعة تُشكّل قضية ضبابية هي «التطرف الشيعي»، وهذه العناصر جرى بحثها في تلك الدراسات. بالاعتماد على هذه الأبحاث، وعلى الأبحاث التي سبقتها، سنسعى إلى وضع تأملات جديدة حول العلاقات بين هذه القضية الضبابية، التي يُشار إليها بشكل اعتباطي بوصفها «مُتطرفة» أو «غالية»، وبين المذهب الشيعي الاثني عشري الذي يوصف باعتباطاً بأنه «معتدل» (نجدّه إجمالاً في النصوص التي تُصنّف ضمن فئة الحديث الإمامي)، وخلقت تلك العلاقات إشكالية كنا قد أخضعناها للبحث في بعض جوانبها.

(1) (antinomism, antinomianism): إسقاط التكاليف أو تعطيل الفرائض، مصطلح أوجده مارتن لوثر في حقبة الإصلاح البروتستانتي يُراد بالمصطلح أنّه لا ضرورة لتقضي بالقيام بالفرائض (الواجبات) الدينية التي تنص عليها التوراة. انظر:

<https://fr.wikipedia.org/wiki/Antinomisme>

ميدان يتسم بالخط واللبس

ثمة تناقضات كبيرة ميّزت العلاقات المرتبطة بالموضوعات الرئيسية والشخصيات التي عُرِفَت بالغلوّ. إنّ دوافع المؤلّفين المرتبطة بهذه العلاقات هي بالتأكيد مُتنوّعة بحسب انتماءاتهم المذهبية أو اللاهوتية السياسية، لكننا نجدهم دائماً يسوقون الاتّهامات نفسها بوجه «المتطرفين» واعتقاداتهم. علاوة على ما ينجم عن التحريفات القصدية والجارحة لمورّخي الهرطقة، كما هي الحال في بعض الأديان، نذكر جملة أمور من بين العقائد المُجرّمة أو الشائنة، لا سيما في الكتب المُتخصّصة في البِدَع السنيّة: الاعتقاد وممارسة التأويل الرمزي أو الباطني للقرآن، بخاصة عندما يترتب على هذا التأويل الإباحة، أي سبّ صحابة النبيّ والبراءة منهم، بخاصة الخلفاء الثلاثة، والتقمّص وتناسخ الروح، ومفهوم المسخ، والقول بتحريف القرآن، والاعتقاد بالقدرات الإلهية للإمام (مفهوم التفويض ومندرجاته). لكن كلّ هذه العقائد، أو لنقل كلّها تقريباً كما سنرى في ما بعد، حاضرة بقوة في أحاديث الأئمة كما روتها كتب الحديث «المعتدل». هذا هو أحد الأسباب التي تقف وراء اللبس في تقديم الأطروحات التي ربما هي جزء من أطروحات «المغالين». في هذا الصدد، إنّ اعتقادات ابن بابويه (المتوفّي سنة 381 هجرية / 991 م.) وهو آخر المُمثّلين الأساسيين للمذهب الشيعي الإمامي الأصلي وفي الوقت نفسه أحد المُمهّدين الأوائل للتيار العقلاني الجديد، إنّ اعتقاداته شديدة الدلالة بصورة خاصّة. وبالنسبة للشيخ الصدوق، الغلوّ والتفويض هما مُترادفان و«المغالي» هو الذي يعتقد بأنّ الله فوّض إلى الإمام شؤون العالم والبشر، ويُفوّض إلى الإمام «أمر الخلق» لا فقط «أمر الدين». وبرأي الصدوق، ثمة ميزة أخرى للغلاة، هي نتيجة اعتقادهم بـ «التفويض الإلهي» للأئمة، وهي أنّهم يتهمون العلماء الشيعة في قمّ بـ «التقصير»، أي حصر سلطة الإمام بالشؤون الدينية بقصد التقليل من مكانته. في كتابيه (كمال الدين) و(عيون أخبار الرضا) يُقدّم الشيخ الصدوق عرضاً مُطوّلاً للصراعات المحتمة بين الشيعة حول موضوع «الغلوّ»، قبل وبعد غيبة الإمام الثاني عشر. ويدخل في نقاش بين شخصيات شيعية لها نزعات مُختلفة، وقطب النقاش هو مقولة وردت عن أكثر من إمام مفادها: «نزلونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم». ويرى أنّ الشهادة الثالثة في الأذان (شهادة أنّ عليّاً وليّ الله) تدلّ أيضاً على الغلوّ. لكن معلوم أنّ هذه الشهادة هي إما من المستحبات، أو واجبة بحيث لا يعود الأذان مقبولاً بدونها.

إنّ الشيخ المفيد (المتوفّي سنة 413 هجرية / 1022 م) الذي يعدّه الكثيرون من تلامذة ابن بابويه، لا يوافق على آراء أستاذه. في كتابه (تصويب العقائد) يرفض الشيخ المفيد رفضاً قاطعاً القول بأنّ نسبة التقصير إلى مشايخ وعلماء قمّ هي علامة غلوّ هؤلاء القوم. برأي الشيخ المفيد، المعيار الوحيد الذي يُشير إلى الغلوّ الشيعي هو تقديس الأئمة (الربوبية والألوهية)، لكنّه لا يحدّد بوضوح الدلالة التي يعطيها لمصطلح (التقديس) الذي يُعرّفه مُستعيناً بمفهومين: الأزلية والقدرة على الخلق.

هل يعني ذلك أنّ مشايخ بغداد الثلاثة الكبار في فترة الحكم البويهي كانوا يوافقون على الصفات الخارقة للأئمة التي ذكرها كبار رواة الحديث خصوصاً الذين عاشوا في الفترة التي تلت حكم البويهيين: ولادة وخصائص جسمانية عجيبة، قدرات فوق بشرية على اختلافها من ضمنها القدرة على الارتقاء العُلوي أو إحياء



الموتى، امتلاك معارف باطنية سحرية لا تُحصى من ضمنها معرفة العالم غير المرئي، وإتقان مختلف اللغات من بينها لغة الحيوانات، وامتلاك علوم السحر والتنجيم، وحضور الإمام في عالم الذرّ؟

في هذا السياق، اتّهم القائلون بالاتّجاه العقلاني في مدرسة بغداد مشايخ مدرسة الريّ ومدرسة قمّ بالغلو؛ إذ تعتقد هاتان المدرستان بوجود الإمام في عالم الذرّ، وأنّ هذا الوجود فصل مهمّ ضمن العقائد الإمامية. إنّ الرجعة، التي هي مفهوم أخروي (eschatologique)، اعتقاد شيعي ينصّ على أنّه في آخر الزمان وقبل البعث يُبعث بعض الشيعة الشهداء الذين قُتلوا ظلماً ومعهم جلاّدوهم فينتقم هؤلاء الشهداء من جلاّدِيهم. وهذا الاعتقاد الذي أصبح شائعاً في المذهب الإمامي «المعتدل» عدّته بعض المصادر من أوجه الغلوّ.

ثمّة لبس هامّ يميّز المصادر المتعلّقة بجماعة كبيرة من تلامذة الأئمة بعضهم كان مُقرباً من الإمام. وبحسب فئة المصادر، وبالتأكيد بحسب النزعات اللاهوتية السياسية للمؤلّفين، نُوديَ بهؤلاء إمّا علماء شرعيين يُحاربون الغلوّ، وإمّا على العكس مغالين بإطلاق. منهم على سبيل المثال لا الحصر، محمد بن أرومة (أحد تلامذة الإمام علي الهادي)، وعلي بن الحسن الهاشمي، وعبد الرحمن ابن كثير الهاشمي (وهو من تلامذة الإمام محمد الجواد). هؤلاء الثلاثة كانوا من رواة الحديث التفسيري الباطني.

التوضيح الشديد للدلالة لهذا اللبس يقع بلا شكّ في مُصنّف الشيخ الطوسي (كتاب الرجال). ومعروف عن الشيخ الطوسي دقّته في التصنيف وآراؤه التي تتسم بالعقلانية، وقد رتبّ فصول كتابه حسب ترتيب تلامذة الأئمة ورواة الحديث عنهم، بدءاً بعليّ بن أبي طالب وصولاً إلى الإمام الحسن العسكري. هناك العديد من الملاحظات التي تنتهي بعبارة (فَيُرْمَى بِالْغُلُوِّ) أو عبارة (غال ملعون). يجب أن نُنوّه إلى أنّه في حالات عدّة يقع أن أحد أصحاب الإمام أو رواة الحديث يُرمى بالغلوّ ويلعنه الإمام (قد يطاله اللعن لأسباب أخرى لكنّ هذا ليس موضوع بحثنا هنا) ولكنه يظلّ مواظباً على حضور مجالس الإمام وتلقّي دروسه.

لنذكر أسماء بعض التلامذة الذين اتّهموا بالغلوّ ورماهم الأئمة باللعن. فمن أصحاب الإمام الحسين: فرات بن الأحنف العبدي؛ ومن أصحاب الإمام موسى الكاظم: محمد بن سليمان البصري الديلمي؛ ومن أصحاب الإمام علي بن موسى الرضا: سعيد بن صفوان بن يحيى، وطاهر بن حاتم، وعمر بن فرات الكاتب البغدادي، ومحمد بن جمهور الأمّي، ومحمد بن الفضيل الأزدي الصيرفي؛ ومن تلامذة الإمام محمد الجواد: الحسن بن علي بن أبي عثمان (وهو أيضاً من تلامذة الإمام علي الهادي)؛ ومن أصحاب الإمام علي الهادي: أحمد بن هلال البغدادي، وإسحاق بن محمد البصري، والحسين بن عبيد الله القمّي، والحسن بن محمد ابن بابا القمّي (أيضاً من تلامذة الإمام العسكري)، وعلي بن يحيى الدهقان، وعروة النخاس الدهقان... إلخ؛ ومن تلامذة الإمام العسكري: محمد بن موسى الصيرفي.

إنّ اللعن لا يُثبت إذاً بالضرورة وجود تباين على مستوى العقيدة، وتُشير بعض الأحاديث إلى أنّ الأئمة لم يلعنوا بعض الأصحاب والتلامذة بسبب ما قالوه، وإنّما لأنّهم قالوه؛ بمعنى أنّهم لم يتقيّدوا بمبدأ التقية والكتمان. وهناك حديث بهذا

المضمون مروى عن الإمام جعفر الصادق حيث قال: إني لأحدث الرجل الحديث فينطلق فيحدث به عني كما سمعه، فأستحل به لعنه والبراءة منه. وقد يُشدد الإمام على أصحابه بالتزام الكتمان والسرية صوتاً للدين وحفاظاً على أرواحهم. وطلب الإمام جعفر الصادق عليه السلام من أحد أصحابه أن لا يُحدث الغلاة بما يُمليه عليه الإمام من علوم باطنية، وقال له: أله عنها فإنها إذا ألقيت إلى السفلة أذاعوها.

ما المقصود إذاً من «الغلو الشيعي»؟ من هم «الغلاة»؟ يُطرح السؤال على نحو شرعي؛ لأن هناك روايات كثيرة متواترة عن أهل البيت يلعبون فيها الغلاة ويتبرأون منهم. في الميدان الذي لا يأمن المرء فيه من اللبس، وحيث يكون للروايات التي قد تتضمن بذور الغلو موقع اختياري ضمن كلام الإمام، من الصعب معرفة ما هو محل استنكار الإمام. بالمقابل، ما يمكن معانيته بسهولة هو أن الميزة التي رافقت غالباً أطروحات «الغلاة» تتعلق بطابعها الصادم، على الأقل بالنسبة إلى غير المطلعين على عقائد الشيعة، سواء الشيعة الذين يعرفون القليل عن مذهبهم وضعاف الإيمان، أو غير الشيعة. لكن هناك عدة روايات تُفيد أن أئمة أهل البيت طلبوا من شيعتهم عدم رد أو نفي الأحاديث التي تبدو للسامع مُنفرة. ويورد الشيخ الصفار القمي في أحد أبواب كتابه (بصائر الدرجات) حديثاً عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام يصف فيه «أمر أهل البيت» بأنه «صعب مستصعب» و«لا يحتمله» فرد عادي. ويقول الإمام الباقر: إن حديثكم هذا لتشمئز منه قلوب الرجال، فمن أقر به فزيدوه، ومن أنكره فذروه، إنه لا بد من أن يكون فتنة يسقط فيها كل بطانة ووليعة حتى يسقط فيها من يشق الشعر بشعرتين، حتى لا يبقى إلا نحن وشيعتنا. وفي رواية أخرى: إن أمرنا هو السر، وسر السر، وسر المستسر، وسر مُتقَع بالسر. وفي رواية عن الإمام علي بن أبي طالب: «إن حديثنا صعب مستصعب، خشن مخشوش، فانبدوا إلى الناس نبذاً، فمن عرف فزيدوه ومن أنكر فأمسكوا، لا يحتمله إلا ثلاثة: ملك مقرب، أو نبي مرسل، أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان».

إن الخصائص الصادمة ترتبط إذاً بالمضامين السرية الباطنية، والتي يصعب فهمها أحياناً للعقائد الإمامية. وهذه العقائد يتم التعامل معها بمنهج التقيّة، وقد رأينا أن أئمة أهل البيت تبرأوا ولعنوا الذين يُدعون تلك العقائد.

من الروايات التي اهتم بها الغلاة اهتماماً خاصاً، وخلقت تباينات بين مؤلفي كتب الفرق والملل الإسلامية من جهة، والمجادلين: الهرميينوطيقا الروحية والباطنية في القرآن؛ التبرؤ المتطرف من بعض أصحاب النبي؛ مسخ أعداء أهل البيت وتحولهم إلى حيوانات؛ دعوى تحريف القرآن؛ القول بوجود قدرات فوق بشرية عند الأئمة عموماً والإمام علي بخاصة.

- تقرير مؤتمر، «الاقتراب من الإسلام الشيعي في الأكاديمية»، مركز جامعة ليدن للإسلام والمجتمع، الأربعاء 14 نوفمبر 2018 - الخميس 15 نوفمبر 2018.

بقلم: إدموند هايز



عُقد المؤتمر السنوي لعام 2018 لمركز جامعة ليدن للإسلام والمجتمع (LUCIS) تحت عنوان «الاقتراب من الإسلام الشيعي في الأكاديمية». ربما كان هذا هو المؤتمر الأول من نوعه في هولندا،

حيث لم تقدم جامعاتها، رغم امتلاكها تقاليد قوية في الدراسات الإسلامية والدراسات الفارسية، حتى الآن دعماً مؤسسياً قوياً للدراسات الشيعية.

قدّم المساهمون تأملات في حالة حقولهم الفرعية، وأظهروا كيف يمكن للأمثلة المستمدة من دراسة الشيعة أن تعقد وتثري المناقشات في المجالات والتخصصات الأوسع. قدم Matthijs van den Bos لمحة عامة عن التراث الشيعي الحديث (في المقام الأول) في أوروبا. وأعطت إديث سانتو سياقاً ثرياً لدوريات الإثنوغرافيا للنساء الشيعيات على مدى العقود العديدة الماضية. وقام إدموند هايز بمسح حالة مجال الاقتراب من جسم شيعي حديث. وقدّم غوردوفريد مسكينزودا تحليلاً سردياً لكتاب الإرشاد للشيخ المفيد، وكذلك وجهة نظر عينية لمجال دراسات الشيعة على أساس تجربتها في المعهد المحوري للدراسات الإسماعيلية في لندن. وقدّمت ميريام كونكلر لمحة عامة عن مجلد جديد تمّ تحريره حول السلطة الدينية النسائية، مع بعض التفاصيل الخاصة عن بنت الهدى. وركّزت طاهرة قطب الدين على العلاقة بين التقوى والفضيلة كما هو موضح في نهج البلاغة، ودفعت ضد التصنيف الحصري لنصوص مثل «الشيعة» عندما تكون وظيفتها الأساسية، على سبيل المثال، عرض الإتيقان البلاغي بدلاً من تقديم ادعاءات طائفية. وقدّم أبو دي جونغ نقداً لاستراتيجيات العلماء الغربيين من أجل «تدجين الشيعة» في أطر تتوافق مع وجهات النظر العالمية لجمهورهم، أي العرق والفلسفة والباطن والسياسة. واستهدف دي جونغ باتريس، على وجه الخصوص، تجاهل العديد للفهم المحتمل لما يمكن أن يكون التوحيد اعتماداً على مفهوم واحد فقط: توحيد الإله العادل، المنفصل عن البشرية كحكم محايد، وجادل بأنّ هذا الامتياز في الفهم الواحد «الصحيح» للتوحيد، له تأثير في وضع الإسلام الشيعي على أنّه هرطقة في جوهره، وهي خطوة يجب تجنبها من قبل العلماء المتعصبين. ودفعت ديورا تور إلى أهمية فهم الإسلام الشيعي على أنّه مرتكز في التاريخ الإسلامي المبكر لا أنّه هامشي، كما جادلت تور، لعب الشيعة دوراً رئيسياً في فقدان شرعية الخليفة تحت حكم العباسيين، ما أدّى إلى ظهور هياكل سلطة الإسلام السني كما نعرفها. وناقش روبرت غليف، في عرضه الرئيسي، تحديد موقف المنح الدراسية على الشيعة، وحدّر من ضرورة التوجيه بين خطرين محتملين: خطر تجاهل المجالات الأخرى لموضوعات الشيعة (كما يفعلون غالباً)، من ناحية، وخطر عكسي من أنّ نمو دراسات الشيعة في مجال مستقل قوي قد يفصلها عن الدراسات الإسلامية والتاريخ الإسلامي على نطاق أوسع، ويشجع على إنتاج منح دراسية في صومعة قائمة بذاتها.

بالإضافة إلى الأوراق الأكاديمية، استمع المشاركون في المؤتمر إلى حلقة نقاش حول القضايا التي تواجه المسلمين الشيعة في هولندا، والتي شاركت فيها ماغريت فان إيس من جامعة رادبود نيميغن، وأن ديجيك مديرة معهد فاهم (Fahm Institute)، ومساعدتها آريين بويتيلار، الذين ينسقون الأحداث بشكل مشترك. مثل الإفطار السني - الشيعي، وأنشطة أخرى للحوار بين الأديان «سو شي» (Su-Shi).

نظّم المؤتمر كلّ من غابرييل فان دن بيرغ، وأهاب بديوي، ورادريكا غوبتا، وإدموند هايز، وروتجر فيلتمان.

■ من الجزئي إلى الكلي السلطة الفقهية

عند الشيعة الإثني عشرية

FROM PARTIAL TO COMPLETE:

JURISTIC AUTHORITY IN TWELVER SHI'ISM⁽¹⁾



صدر العدد 43-4 صيف 2020 من مجلة دراسات جنوب آسيا والشرق الأوسط⁽²⁾، وفيها قدّم الباحث «لياقات تاكيم»⁽³⁾ مقالة بعنوان: «من الجزئي إلى الكلي السلطة الفقهية عند الشيعة الإثني عشرية».

يعتقد الباحث من خلال مقاله هذا أنّ من أبرز ملامح الشيعة الإثني عشرية هو إدعاء الفقهاء السيطرة على السلطة خلال غيبة الإمام. وعليه يسعى إلى إظهار أصول هذا النوع من السلطة وتطوّرها، عارضاً الاختلافات بين فقهاء الشيعة حول طبيعة سلطة العلماء وسعة نطاقها. كما يظهر

المقال كيف أنّ سلطة العلماء قد تعزّزت نتيجة التغيّرات الاجتماعية-الاقتصادية والسياسية. فرعاية الدولة والاستثمار لألقاب عدّة سرّع ببعث أشكال متباينة من السلطة الفقهية.

بداية، يُبيّن الباحث التغيّرات الاجتماعية والسياسية التي مرّ بها المجتمع الإسلامي: مع غيبة الإمام الثاني عشر في عام 940م، ومع وصول البويهيين إلى السلطة في عام 945م، تحسّنت البيئة الاجتماعية والسياسية في بغداد إلى حدّ كبير بحيث مكّنت الفقهاء من التفكير حول نوع السلطة ومداهما، التي كان يمكن لهم أن يسيطروا عليها؛ في حين أنّ الصفويين (1501- 1736) والقاجاريين (1794 – 1925) كانوا قادرين على توسعة نطاق سلطتهم إلى درجة أكبر بكثير من البويهيين.

(1) https://www.jstor.org/stable/10.33428/jsoutasiamideas.43.4.0006#metadata_info_tab_contents

(2) هي مجلة فصلية توفر لمنتدى العلماء المشاركين في دراسة المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية الحديثة في جنوب آسيا والشرق الأوسط وشمال أفريقيا، تصدر عن جامعة فيلانوفيا بأمريكا.

(3) أستاذ كرسي الشارقة في «الإسلام العالمي» بجامعة ماكماستر في كندا. إنه كاتب ومتحدث غزير الإنتاج، ألف أكثر من مئة وثلاثين عملاً علمياً تم نشرها في مختلف المجلات والكتب والموسوعات. كتب في مجموعة واسعة من الموضوعات مثل الإصلاح في الإسلام، ودور التقليد في تشكيل الشريعة الإسلامية، والإسلام في الشتات الغربي، والأصولية الإسلامية، والتقاليد الصوفية الإسلامية، وعقدة الخوف من الإسلام، وغيرها الكثير.



السلطة المعرفية للعلماء

تُقرُّ سلطة الفقهاء الشيعة على أسس مختلفة، وأهمّها هو سعة العلم والكفاءة؛ حيث تمنحهم السلطة المعرفية وقدرتهم على التفسير درجة خاصّة وشرفاً وسلطة في المجتمع. وازداد تأثير السلطة عندما قُبل فتح باب الاجتهاد كوسيلة لاستنباط الأحكام الشرعية من قبل علماء «الحلّة»، في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، لا سيّما بعد أن وضع العلامة ابن المطهر الحلّي المتوفى عام 1325م مبادئ «الاجتهاد»، حيث بدأ الفقهاء باستخدام تلك المبادئ المنصوص عنها في «نظرية الشرع الإسلامي»، فأصبحت السلطة مبنية على المعرفة ونقل المعرفة وعلى تطبيقهم للاجتهاد في حلّ القضايا غير المذكورة في النصوص الموحى بها. ومع تعاضد ممارسة الفقهاء الاجتهاد، ازدادت سلطتهم وأصبحت أحكامهم أساساً معيارياً للأجيال التالية من العلماء؛ وعندما تكون قضية غير مذكورة في النص المقدّس، كان الفقيه يعود إلى الإجماع. وفي هذه الحال، فإنّ السلطة التي كانت مُقتصرة على القرآن والسنة ومحصورة بهما جرى توسيعها؛ لتشمل فتاوى الفقهاء.

العلماء ورثة النبي

جعل العلماء من مقولة الرسول بأن «العلماء ورثة الأنبياء» أساساً لما لديهم من قدرة معرفية، بحيث ترسّخت الفكرة في عقول الشعوب، فكان منهم «نجم الدين جعفر» المدعوب «المحقّق الحلّي» المتوفى عام (1277م)، و«حسين بن حسن الكركي» الفقيه الذي عاش في القرن السادس عشر والمتوفى عام (1592 - 1593م)، ومؤخراً زعم آية الله الخميني أنّ العلماء الفقهاء هم ورثة الأنبياء الحقيقيون لا الأئمة. وفي عهد الصفويين، كان العلماء يصوّرون على أنّهم مركب النجاة وأبواب السماء، وأنّ التقليل من مقامهم ينتج عنه عقاب الله وغضبه؛ حتى إنّ بعضهم كان ينظر لهم على أنّ لهم «كرامات»، وأنّهم وسطاء مع الأئمة والنبي وأبواب الفردوس، وأنّهم الطريق للوصول إلى الإئمة.

السلطة القائمة على رعاية الدولة

بعد تأسيس الدولة الشيعية في إيران عام 1501م، جيء بالعلماء من البحرين ومن لبنان؛ لكي يساعدوا في تشييع الشعب، فكان هناك اندماج بين العلماء والنظام خاصّة في الجانب السياسي. فكان الملوك الصفويون يستشيرونهم ويصغون إليهم؛ لأنّهم كانوا هم من ينقلون العلم ويفسّرون قوانين الله وينفذونها، لا سيّما وأنّ المجتمع كان يقوم على أسس القانون الإسلامي. وزعم «محمد باقر المجلسي» أنّ السلطة الدينية أعلى من السلطة السياسية التي عليها أن تنصاع للأحكام الشرعية. كان على «العلماء» الذين انخرطوا في الساحة السياسية أداء واجبات مختلفة. وعليه تمّ تعيين المجلسي، والذي كان وثيق الصلة بالملوك، تمّ تعيينه «شيخ الإسلام» في عام 1687، وهو أعلى سلطة دينية عينها الشاه، وقد شغل المجلسي هذا المنصب لمدة 11 عاماً، وكانت من واجباته رئاسة ترويج الملك، كما حصل مع الشاه سلطان حسين المتوفى (1722م)، وتكرّر ذلك مع «المير داماد» الذي أشرف على ترويج «شاه صافي» في عام 1629م. ولقد استمرّ انخراط العلماء في السياسة خلال عهد «القاجار»، فكان هناك الشيخ جعفر كاشف الغطاء المتوفى عام (1812

- 1813م) الذي كان يرى بالنيابة العامة للإمام، والذي أعطى الصلاحيات للملك «فتح علي شاه»؛ لكي يشن حرباً على الهيمنة الروسية والعدوان على الأراضي الإيرانية. كما شملت أعمال العلماء شؤون العامة من الناس مثل «الاستخارة» وكتابة «التعويذات».

النائب العام للإمام

إنّ مدى التأثير كان مستشعرًا به من خلال خدمات العلماء للمجتمع، وقد سبق أن عين الإمام جعفر الصادق -الإمام السادس المتوفى عام (765م)- قضاة؛ لكي يكونوا نوابًا له. وأن يكون القاضي نائبًا للإمام فهذا يدلّ على عظمة مكانة العلماء واعتبارهم، فهم لم يعودوا مجرد علماء دين. إنّ أول مرة استعمل فيها لقب النائب العام كان من قبل العالم شمس الدين محمد بن مكّي العاملي، المتوفى عام (1384م)، وهو الذي يُدعى بالشهيد الأوّل. ولاحقًا من قبل العالم زين الدين العاملي المتوفى عام (1558م)، والذي يُدعى بالشهيد الثاني. ولكن تطبيقه جاء في تطوّر لاحق في تاريخ القضاء الشيعي الشرعي. وبعد ذلك جاء العالم علي بن الحسين الكركي المتوفى عام (1533 - 1534م)، بحيث كان يميّز بين النيابة العامة والنيابة الخاصّة. وبهذا ثبت فكرة النيابة التي وردت في رواية الإمام الصادق، والتي تدعى بـ«المقبولة» والتي قال فيها: «لقد جعلته قاضيًا عليكم». كما أنّ الكركي كان من المقرّبين جدًّا لـ«شاه طاهماسب» في المحكمة الصفوية، وكان يتمتّع بمقام مرموق بدون منازع، وسلطة واسعة جدًّا على شؤون الدولة بما فيها الضرائب والأتعاب المالية، الأمر الذي كان موضع انتقاد العالم إبراهيم القطيفي المتوفى عام (1543م). ومع ازدياد أعداد المجتهدين بُعيد انتصار الأصوليين في القرن الثامن عشر والتاسع عشر شوهد انتشار الألقاب الدينيّة، التي كانت تمنح؛ لكي يتمّ التمييز بينهم، فكان هناك لقب حجّة الله وحجّة الإسلام والمسلمين عند الشيعة، كما كان في حالة محمد باقر الشفتي المتوفى عام (1844م). ومع نهاية القرن التاسع عشر كان جميع العلماء المجتهدين في العتبات قد حصلوا على لقب حجّة الإسلام. رافق مأسسة مقام «مرجع التقليد» ظهور ألقاب أخرى في الهرميّة القضائيّة الشرعيّة مثل «شيخ الفقهاء» (محمد الحسن النجفي المتوفى عام (1849م)، ومثل مرتضى الأنصاري الملقّب بـ«الشيخ الأعظم». وأكّد السيد كاظم الطبطبائي اليزدي المتوفى عام (1919م) في كتابه «العروة الوثقى» أنّ أيّ عمل بدون الرجوع إلى التقليد هو فارغ. وفي القرن العشرين أصبح لقب آية الله شائعًا، وبهدف التمييز بين العلماء ظهر لقب «آية الله العظمى» في الستينيات من القرن العشرين، وقد لُقّب بهذا اللقب العالم «حسين البروجردي» المتوفى عام (1961م)، وفي إيران بعد الثورة أصبح لقب الإمام الذي يُشير إلى الأئمة الإثني عشر هو لقب الخميني.

الدور القضائي الشرعي للمشرّعين

يبدأ الشيخ محمد بن يعقوب الكليني المتوفى عام (940 - 941م) كتابه «فروع الكافي» حول القضاء بالاستشهاد بالأحاديث النبويّة؛ لكي يظهر بأنّ السلطة القضائيّة الشرعيّة إنّما هي تنبثق عن النبي وعن الأئمة حصراً. وخلال فترة غياب الإمام الثاني عشر كان على العلماء ملء الفراغ والقيام بحلّ النزاعات، ولعب دور



القضاء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعناية بأملأك القصر والمعوقين، والإشراف على إقامة الحدّ حيث تدعو الحاجة. وقد سأل عمر بن حنظلة الإمام جعفر الصادق عمّا يجب فعله في حال اختلف اثنان بشأن دين ما أو ميراث، فكان جواب الإمام أنّه: « ينظران إلى من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً». وهذا مُفاده أنّ على القاضي امتلاك الإيمان والعدالة والعلم بأحاديث الأئمة عند تعيينه. ويصّر محمد بن جعفر الطوسي المتوفى عام (1067م) على أنّ القضاء هو «واجب كفائي»، ويجب على المجتمع بأكمله الرجوع إليه. وجاء «المفيد» محمد بن النعمان المفيد المتوفى عام (1022م) ليؤكد على دور العلماء وحقّهم في سلطة القضاء خلال الغيبة وصولاً إلى إقامة الحدود؛ وقد استشهد على ذلك بمقبولة عمر بن حنظلة.

النيابة الشرعيّة على إمامة صلاة الجمعة

سلطة الإمام كانت موضع تساؤل من حيث مدى شموليّتها بما فيها إمامة صلاة يوم الجمعة، بحيث كان هناك 90 دراسة حول الموضوع خلال حكم الصفويين، 80 منها تمّت كتابتها في القرن السابع عشر.

يستعرض الكاتب مواقف متباينة بدءاً من العهد البويهي؛ حيث إنّ ما من فقيه كان يرى وجوب إمامة الجمعة في عصر الغيبة، ثم مع الشريف المرتضى وسالار الديلمي الذين كانا يمنعان إقامة الفقيه لصلاة الجمعة، وبالمقابل جوراً إقامة صلاة العيد. ولكن الطوسي في كتابه «الخلاف» الذي منع فيه إمامة الفقيه لصلاة الجمعة، وفي كتابه «النهاية»



جعل إمامة صلاة الجمعة محصورة في الإمام أو من ينتدبه الإمام للقيام بذلك. ومن ثمّ جعل الشيخ الطوسي إقامة صلاة الجمعة اختيارية. وجرى البويهيون على اتباع هذا الاختيار بين «الرخصة» وبين «الواجب» من قبل الفقهاء. وقد رأى ابن إدريس منع إمامة صلاة الجمعة من قبل الفقهاء. ولكن العلامة «الحلي» في كتابه «التحرير» رأى أنّ على الإمام أن يقيم صلاة الجمعة انسجاماً مع واجباته الأخرى من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحد؛ وهذا ينسجم مع ما

سبق وقدمه الشهيد الأوّل، وما نقله «زرارة بن أعين» المتوفى عام (767م). وهذا ما أكّد عليه الشهيد الثاني في مقالة في عام (1555) يقول فيها إنّ المشاركة في صلاة الجمعة إنّما هي «فرض عين» على كلّ فرد، وهي ليست اختيارية. وأخذ «الكاشاني» المتوفى عام (1680م) الموقف نفسه. وكذلك أخذ الصفويون الموقف نفسه على أنّ صلاة الجمعة واجبة لا سيّما وأنّ القرآن قد نصّ عليها. ووصل الموقف مع «الشيخ جعفر كاشف الغطاء» المتوفى عام (1812م) إلى حدّ التكفير لمن لا يرى بوجوب صلاة الجمعة. وهكذا نرى أنّ ما كان ممنوعاً عند «ابن إدريس» أصبح واجباً عند «كاشف الغطاء».

الخمس والسلطة القضائية الشرعيّة

لقد كان نموّ سلطة القضاء الشرعي أكثر وضوحاً مع قضية جمع «الخمس» وتوزيعه، الذي ينصّ عليه القرآن، سورة رقم 8 – آية رقم 41. ولكن عندما يصل الأمر إلى توزيع الأسمه بين المسكين وذي قربي وعابر سبيل والإمام، تقاطعت فتاوى «المفيد» و«المرتضى» و«الطوسي» و«ابن إدريس» بما يخصّ سهم الإمام؛ ذلك أنّه ما من نصّ صريح لجهة استلام القاضي الشرعي للخمس أو لجهة توزيعه. ومع «ابن البرّاج» و«ابن إدريس» كان الموقف أن سهم الإمام الغائب يبقى له وليس للفقير حقّ فيه، حتى جاء «المحقّق» الذي رأى بأنّ الخمس يمكن أن يُعطى للفقير؛ لكي يتصرّف به بطريقة مناسبة، ذلك لأنّه يملك «ولاية الحكم». وهكذا نرى أنّ الشهيد الأوّل والشهيد الثاني كانا يفتيان بأنّ الخمس والزكاة يجب إعطاؤهما إلى الفقير الشرعي. وهذا كان يعزّز سلطة رجال الدين، أمّا سهم الإمام فلم يفتيا بتوزيعه بل كانا يفتيان بحفظه على أن يُعطى للإمام عند ظهوره، وفي الوقت نفسه سمحا باستعمال الأسمه؛ لتمويل الزيجات والتجارة والمساكن. كذلك كان الشيخ البهائي يرى بوجوب إعطاء أسمه الإمام للفقير. وعليه يرى الكاتب الفرق الكبير الذي منح رجال الدين سلطة ماليّة وقضائيّة مستقلة، تعاضمت مع تقمّص رجال الدين مجالات عديدة في حكومات إيران. ولكن الحرّ العاملي كان يرى في «وسائل الشيعة» أنّه ما من نصّ حول إعطاء الخمس للمجتهد. كما أنّ «محسن فيض الكاشاني» ذهب أبعد من ذلك ليقول أن سهم الإمام الثالث ليس مطلوب دفعها البتة خلال الغيبة، في حين أن «المجلسي» عارض هذا، وكانت نظرته الإصرار على أن يُعطى الخمس بأكمله للفقير لا سهم الإمام فقط. وفي عهد «القاجار» تعزّزت هذه الصورة مع وصول الأصوليين، وقد عبّر عنها كلّ من «جعفر كاشف الغطاء» و«النجفي»، في حين أنّ «مرتضى الأنصاري» المتوفى عام (1864م) كان حكمه بعدم ضرورة دفع الخمس للفقير في حال طلبه لذلك.

هكذا نرى أنّه خلال حكم «القاجار» تمّ تثبيت مكانة الفقير الشرعي وسلطته المستقلة عن الدولة، والتي أصبحت تغطي الشؤون الدينيّة والشؤون الماليّة. ولكن «مطهري» كان يرى بأنّ العلماء قد أصبحوا فاسدين باعتمادهم على العامّة.

الزكاة والفقهاء

مع مرور الوقت، تبدّل موقف الفقهاء من التردّد بقبول ذلك الموقع، الذي كانوا يرونه من حقّ الإمام الغائب فقط، إلى موقف أصبحوا يصدّرون فيه فتاوى في مسألة جمع الضرائب والهبات التي اختلطت



بالمعاملات غير الشرعية. وكان ينظر إلى من لا يعطي الزكاة والخمس على أنه كان يتمرد على الإمام الغائب. كما كان إعطاء الخمس مشروطاً بحياسة المرجع لإجازة لجمع الخمس، ومن يعطي لمن ليس لديه إجازة كان عليه أن يعطي الخمس مرة ثانية. وهكذا كان امتياز جمع الأسهم وتوزيعها محصوراً بالعلماء المجتهدين.

الولاية العامة

أدت الوظائف المتزايدة لـ «العلماء» في المجتمع ببعض الفقهاء مثل النجفي إلى تقديم مطالبات بولاية الأمة المطلقة، التي كانت لدى الأئمة. وبالمثل، فإن معاصره الملا أحمد النراقي (المتوفى 1829) يجادل بقوة بأن الفقيه هو أفضل مخلوق لله بعد النبي والأئمة، وأن سلطته في طول سلطة الله وسلطة النبي والأئمة. ولإثبات صحّة ادّعاءاته استند على الولاية العامة للإمام بمقبولة ابن حنظلة وغيرها من الروايات المماثلة. بالنسبة للنراقي السلطة ليست محصورة في الماضي أو النصوص، بل هي مفوضة بالكامل إلى الفقيه من قبل الإمام نفسه. بعبارة أخرى، يمتلك الفقيه الآن السلطة الشاملة التي يتمتع بها الإمام. أما الفيض الكاشاني (ت 1680)، عالم إخباري، فهو «يؤكد على أنّ سلطة الفقهاء الموثوقين هي سلطة الإمام إلا في الدعوة إلى الجهاد الهجومي، وهذه السلطة لهم، حسب قوله، على أساس حقّ الوكالة (حقّ النيابة).

ولكن «الأنصاري» خرج عن هذا الموقف حيث كان يرى استحالة «الولاية العامة» للفقهاء. ولكن في الوقت المعاصر أكد «الخميني» على ولاية الفقيه والولاية العامة عندما أسّس الدولة الإسلامية في إيران. أمّا آية الله أبو القاسم الخوئي فلم يأخذ بها، وقال بأنّ الولاية العامة خاصّة بالأنبياء والأئمة من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ الشكل الوحيد للسلطة الفقهيّة الذي كان الخوئي يعترف به كان في المجالين الفقهي والاجتماعي «الأمر الحسينيّة».

في الدراسات الغربية

الشريعة

مؤتمرات وندوات

- دليل الدروس [2020.2019]

كلية اللاهوت والدراسات الدينية لوزان-سويسرا

مواقع إلكترونية

- الإسلام الشيعي

- طقوس عاشوراء ومراسمها: عودة في التاريخ إلى بناء الذاكرة الجماعية الشيعية
أنتروبولوجيا الممارسات الطقوسية

■ دليل الدروس [2020.2019] (1)

كلية اللاهوت والدراسات الدينية لوزان-سويسرا (FTSR)



UNIVERSITÉ LAVAL

Faculte de theologie et de sciences religieuses

تقدم كلية اللاهوت والدراسات الدينية في جامعة لوزان مسارين تدريبيين، هما: اللاهوت، والدراسات الدينية. الأول يتم تجربته بالتعاون بين جامعتي جنيف ولوزان، والثاني يتم إدارته من منظور متعدد التخصصات مع كليات الآداب والعلوم الاجتماعية والسياسية بجامعة لوزان.

تهدف الكلية من خلال مقرراتها إلى تطوير المعرفة الدقيقة والنقدية في مجالين أساسيين:

- اللاهوت: النصوص التأسيسية للمسيحية، والتقاليد المسيحية، فضلاً عن مختلف الاتجاهات التاريخية والفلسفية واللاهوتية والأخلاقية والتعبيرات المعاصرة للمسيحية.

- علوم الأديان: الظاهرة الدينية بشكل عام، والتقاليد الدينية الرئيسية على وجه الخصوص (الهندوسية واليهودية والمسيحية والإسلام، وما إلى ذلك). الأساليب المستخدمة هي أساساً تلك العلوم الإنسانية والاجتماعية مثل التاريخ المقارن، والأنثروبولوجيا، وعلم الاجتماع.

(1) <https://www.unil.ch/fts/files/live/sites/fts/files/shared/Enseignements/catalogue%20cours%20FTSR%20201920-.pdf>, P 1328-27-



Shiites in Western studies

لقد حضرت الدراسات الشيعية في مقررات الكلية، وهو ما رصدناه في مقررها لسنة 2019-2020، من خلال ثلاثة مواد، وهي: صياغة وتطور القانون الإسلامي (الفقه)؛ مقدمة في تاريخ الإسلام 1: السلطات والموازن في القرون الأولى للإسلام (القرن الثامن عشر ميلادي - القرن العاشر هجري)؛ مقدمة في تاريخ الإسلام 2: السلطات الإقليمية والتطورات الاجتماعية في العالم الإسلامي خلال القرنين الحادي عشر والخامس عشر الميلاديين. ويتم تقديم هذه المقررات من طرف أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة لوزان، وسام حلاوي. وهي على الشكل الآتي:

1 - صياغة وتطور القانون الإسلامي (الفقه)

يطلب لحضور هذا المقرر أن يكون الطالب مكتسباً معرفة جيدة بتاريخ القرآن الكريم والحديث الشريف، لذلك يجب أن يكون قد تابع واجتاز إحدى الدورات المتقدمة حول الإسلام التي تم تدريسها في سنة 2018-2019 في الكلية أو ما يعادلها، أي أن يكون الطالب قد حصل مقدمة في تاريخ الإسلام بالإضافة إلى دورة تعميق مستوى BA2.

من خلال هذا المقرر يقع الاهتمام، على مدى فصل كامل، بتاريخ الشريعة الإسلامية وجغرافيتها في العصور الوسطى وما قبل العصر الحديث. ويتم ذلك عبر دراسة تطور الفقه وممارسة العدل في الإسلام بعد الفترة التكوينية للمخطوطات القرآنية والمجموعات الأولى من الأحاديث السنية والشيعية؛ لأن هذه الفترة لازالت موضع نظر عند السلطات الدينية الإسلامية الحالية، ولا يزال التشريع قائماً على الأعمال المنسوبة إلى مؤسسي المدارس القانونية (الفقهية) الكبرى. وبالإضافة إلى ذلك يتم دراسة تاريخ تشكيل المدارس الفقهية السنية والشيعية الأولى عبر معالجة تطور وتجانس النظريات الفقهية لمؤيديهم، والتي تحتوي على اختلافات تعكس المخاوف السياسية والاجتماعية والتأثيرات الثقافية المختلفة. يتم تحليل ما يسمى بالفترة الحديثة من خلال نهج مقارن طوال الفصل الدراسي، بمشاركة نشطة من الطلاب. كما تُناقش مجموعات الفتاوى وعقود البيع والمذاهب الفقهية الأصلية من أجل إبراز تعددية القانون في أرض الإسلام، وأهمية المنطق الشخصي للفقهاء في المدينة أو في المناطق الريفية.

2- مقدمة في تاريخ الإسلام 1: السلطات والموازن في القرون الأولى للإسلام (القرن الثامن عشر ميلادي - القرن العاشر هجري)

في هذا المقرر يتم تقديم ولادة الدين الإسلامي في شبه الجزيرة العربية، وتشكيل الحضارة الإسلامية، مع تحليل ظهور القوة الإسلامية (الخلافة) بعد وفاة النبي محمد، والتشكيك في شرعيتها في القرون الأولى للإسلام. ويعدّ الهدف من هذا المستوى المنهجي هو تعريف الطلاب على القراءة النقدية للدراسات التقليدية للتاريخ الإسلامي.

أيضاً، يركز هذا المقرر على مدى فصل دراسي كامل، على الوحي القرآني، ولا سيما حياة الرسول محمد ورسالته في مكة والمدينة، في السياق اليهودي-المسيحي للجزيرة العربية في أواخر العصور القديمة. ثم الاهتمام بتطور

الخلافة في المدينة المنورة، ثم في دمشق (661-750)، وبغداد (بعد 750). ويتم إيلاء اهتمام خاص لتشكيل الإمبراطورية الإسلامية في استمرار الفتوحات الأولى خارج شبه الجزيرة العربية، وحركات الاحتجاجات الاجتماعية والروحية، ولا سيما الشيعة. ويتم دراسة ممارسة السلطة؛ من أجل دراسة كيف حكم القادة الأولون في الإسلام وثبتوا سلطتهم، ويتم ذلك عبر تحليل مفهوم السلطة الدينية والسياسية داخل المجتمع المسلم الشاب، كما يتم فحص تطور الإسلام من خلال المجتمع وتنظيماته (القبلية والتيارات الدينية والنخب والمؤسسات).

3- مقدمة في تاريخ الإسلام 2: السلطات الإقليمية والتطورات الاجتماعية في العالم الإسلامي خلال القرنين الحادي عشر والخامس عشر الميلاديين

يقارب هذا المقرر التطور الحاصل في سلطة الخلافة، وخاصة المنافسة بين الخلافة والإمامة الشيعية في الشرق الإسلامي. ثم دراسة السلالات الأميرية غير العربية في الولايات التي يتم جلب أعضائها لتحكم الإسلام فتأخذ لقب الأمراء أو السلاطين.

يركز هذا المقرر على التطورات الاجتماعية التي حدثت أولاً في سياق قوى الخلافة المتنافسة (ولا سيما العباسيين السنة والفاطميين الشيعة)، ثم سياق إضعاف السلطة المركزية في بغداد والقاهرة، وهو ما أفسح المجال أمام العديد من السلالات الأميرية (البويهيون، السلاجقة، الأيوبيون، المماليك)، ومن ثم دراسة وهكذا تقترب من ظهور الإمارة والإمارة وأخيراً السلطنة، فضلاً عن عسكرة السلطة والسيطرة على مساحة التهديدات الخارجية (الحروب الصليبية والمنغولية)، وإعادة تعريف السلطة السياسية والدينية في الإسلام ومكان التيارات الدينية للأقليات (الإمامية والإسماعيلية والصوفية).

الإسلام الشيعي

L'ISLAM CHIITE⁽¹⁾



Imago Mundi
Cosmovisions.com



Encyclopédie
gratuite

نشر موقع (Imago Mundi)⁽²⁾ مقالة يسلط فيها الضوء على الإسلام الشيعي من خلال الأقسام التي يتضمنها، وهو بالتالي يقدم رؤية شاملة لكلّ القارئ باللغة الفرنسية عن كلّ فرع يُنسب إلى الشيعة بحسب نظر كاتب المقال (O. Depont / X. Coppolani). كما يوفر الموقع ترجمة لكلّ ما يتمّ عرضه إلى عدّة لغات، وهي: الانجليزية، الإسبانية، الروسية، الإيطالية، البرتغالية، والألمانية.

أمّا فيما يتعلق بمحتوى المقال والتقسيم الذي اعتمده الكاتبان للإسلام الشيعي فنورده في الآتي:

ينقسم الشيعة إلى أربع فرق: الإمامية أو الشيعة الاثني عشرية (وهم الغالبية وقد أسسوا جمهورية إسلامية في إيران)؛ الزيدية (شمال غرب اليمن)؛ الإسماعيلية التي تتضمن أساساً الفرقة النزارية ويتزعمها آغا خان؛ والغلاة ومنهم العلويون الذين يُشكّلون الأقلية الحاكمة في سوريا.

1. الزيدية

سُموا كذلك لأنهم ثاروا بقيادة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. وفي عقيدتهم يُقدّسون ويُعظّمون أبناء فاطمة بنت النبي ﷺ ويُصّبونهم أئمة. وينقسم الزيدية إلى ثلاث فرق:

أ. الجارودية: هم أتباع أبي الجارود الذين نصّوا على علي بالإمامة بالصفة لا بالاسم، وطعنوا في إسلام أتباع النبي ﷺ؛ لأنهم لم يُبايعوا علياً بعد وفاة الرسول.

(1) [http://www.cosmovisions.com/\\$Chiites.htm](http://www.cosmovisions.com/$Chiites.htm)

(2) Imago Mundi هو موقع إلكتروني عام ومجاني، ويمكن الوصول إليه من جميع الموسوعات، مبني على ثلاثة محاور:

- عالم المادة: الفلك، علوم الأرض، الفيزياء، الكيمياء.
- عالم علم الأحياء، علم النبات.
- عالم البشر التاريخ السياسي وتاريخ العلم والفكر والأدب والفنون

ب. السليمانية: هم أصحاب سليمان بن جرير، ويزعمون أنّ الإمامة شورى، وأنها تصلح بعقد رجلين من خيار المسلمين. ويُقرّ هؤلاء بإمامة أبي بكر وعمر، لكنهم اعتبروا أنّ إعراض المسلمين عن بيعة عليّ خطأ لا يوجب الكفر. وترى السليمانية أنّه يجوز إمامة المفضول، وإن كان الفاضل أفضل في كلّ حال. كما أنّهم كفروا عثمان وعائشة وطلحة والزبير.

ج. البترية: لا يُكفرون عثمان على عكس السليمانية.

2. الإمامية

هم الطائفة التي تحاول من خلال الحقائق إظهار الفكرة الأساسية للشريعة، أي أنّ محمداً عيناً عليّاً خليفة له. فهم بالتالي يبنون عقائدهم على النصوص الصادرة عن محمد عندما بدأ التبشير. حيث وافق علي -كما نعلم- على أن يكون نائباً له، وفي ظروف أخرى، أشار محمد إلى حكم علي من بعده باعتبار أنّه المتفوق على الآخرين. ويرى الباحثان أنّ هذا المفهوم جعل أكثر من 12 ألف مسلم يفصل عليه حال قبوله بالتحكيم، وهم الخوارج.

3. الإسماعيلية

هم فرقة شيعية كبيرة لها دور هامّ، وعقائدها معروفة جداً لدى عامّة المسلمين. من بين مبادئ هذه الفرقة ارتحال «العقل الكوني» والروح المُنبثقان عن الله الذي لا يدركه العقل البشري؛ حيث إنّ الله أكبر وأقوى ممّا يصفه القرآن به. كما يعتقدون -بنظر الباحثين- بأنّ الأنبياء والأئمّة هم وحدهم القادرون على الإفادة من هذا التجسيد، الذي ينتج عنه ظهور المخلّص الذي يُدعى المهدي، والذي يُصنّف ذرية علي وأتباعه، وذلك بالانتقام ممّن غصب حقّهم. وهذا المهدي يجمع بين البراهما المُبدع، وفيشنو الحافظ والمنقذ، وشيفا الذي أسّس الدين الهندوسي ودمّره.

أيضاً، تُوالي الفرقة الاسماعيلية عليّاً وأهل بيته، لكنّها تقف عند إسماعيل سابع الأئمّة الذين برأيها ورثوا السّلطة الشرعيّة والروحيّة عن النبي ﷺ. لكنّ اسماعيل، وهو أحد أبناء جعفر



الصادق، مات من دون أن يُوصي بالإمامة من بعده. الكثير من أنصاره يرى أنه لم يمت: «هو فقط توارى عن الأنظار وسيعود لا محالة». يُستشف من ذلك أنه المُخلَص المنتظر، وبذلك تأسست الفرقة الإسماعيلية التي هزّت عقول النَّاس وانتشرت العقيدة الإسماعيلية في بلاد فارس، والشام، وبلاد ما بين النهرين، ومكة، والمدينة، وأثارت الذّعر في بلاط الخلفاء. أدخِلت عدّة إصلاحات عليها وأخذت طابعاً دينياً وفلسفياً وسياسياً واجتماعياً خلال حكم عبد الله بن المأمون. واتّصفت بصبغة إنسانية ليبرالية في عهد أحفاد مؤسس الخلافة الفاطمية، الذي يدعى سعيد، ويُعرف باسم عبيد، ويُعرف أكثر باسم عبيد الله، وهو أحد أحفاد عبد الله بن المأمون. عاش عبيد الله سقّاحاً قاتلاً في أيام الخليفة حسن الصباح، وكان غريب الأطوار ملازماً للزنديق رشيد الدين.

4. الغلاة:

يقول الغلاة بالوهية الأئمة، ويقولون عن عليّ أنه الله، ويعتقدون بأنّ روح الله حلّت في أولاد علي. بلا شكّ ساهمت الزيدية والإمامية في إبراز افتراق الشيعة عن عامة المسلمين، لكنهم لم يُصوبوا إلا على السلطة الزمنية للخلفاء، بينما طعن الغلاة في جوهر الإسلام. ولم تخلُ آراؤهم المتعلّقة بالحلول من توجيه السنّة اتهامات مضادة لهم، وذهب الغلاة إلى استنباطات نظرية تتضمّن أفكاراً فلسفية مُستمدّة من مصادر خارج العالم الإسلامي. بحسب كتاب المواقف تتشعب فرقة الغلاة إلى الفرق التالية:

أ. الكيسانية: افرقت إلى ثلاث فرق، وهي الرزامية، والهاشمية، والبنانية. يُدرج كتاب المواقف هذه الفرق تحت عنوان غلاة الشيعة نظراً للسجلات التي أثارها المدرسة الكيسانية بين أوساط المؤلّفين المسلمين.

ب. الرزامية: نسبة إلى رزام بن سيق، وقالت هذه الفرقة بالتناسخ، وذهبت إلى تشريع ما حرّمه القرآن. يرى الشهرستاني والمسعودي أنّ الرزامية هي فرع من الكيسانية التي هي فرقة شيعية. يقول المسعودي في كتابه (مروج الذهب): للملّة الكيسانية عدّة آراء متضاربة. وتُنسب إلى المخترار بن أبي عبيدة الثقفي وكان اسمه كيسان ولُقّب بأبي عمرة. ويُقال أنّ علي بن أبي طالب ناداه قائلاً: «كيس كيس» فلزمه هذا الاسم.

ت. الهشامية: هم أصحاب الهشامين: هشام بن الحكم، وهشام بن سليم. تُفسّر القرآن من خلال الاستعارات وتقبل النظرية العبثية الخاصّة بالميكروكوسم.

ث. البيانية: هم أتباع بنان بن سمعان وقيل بيان بن سمعان، قالوا بأنّ روح الله حلّت في عليّ ثمّ في ابنه محمد بن الحنفية، ثمّ في ابنه أبي هاشم، ثمّ في بنان بن سمعان. برأي البيانية فإنّ خاصية حلول الذات الإلهية في علي جعلت بمقدور عليّ التعرّف إلى العالم المرئي واللامرئي، والانتصار على أعدائه وتغليب الحقيقة على الكذب. صوت الرعد هو صوته.

ج. السبائية: نسبة إلى عبد الله بن سبأ الذي خاطب عليّاً بالقول: أنت الله حقّاً؛ فنفاه إلى المدائن. يعتقد عبد الله

بن سبأ أنّ علياً لم يمّت، فابن ملجم ضرب شيطاناً يُشبهه علياً. وأنّ علياً يسكن في السحاب وأنّ الرعد صوته، والبرق هو الشرارة التي تخرج من سوطه. وأنّه ينزل إلى الأرض بعد حين وينشر العدل. تمسّك أتباع عبد الله بن سبأ بهذا الاعتقاد وراحوا يستنجدون بعلي كلما سمعوا صوت الصاعقة.

ح. الكاملية: نسبة إلى أبي كمال، لا يعترفون بالصحابة الذين يُنكرون إمامة علي، ويُكفّرون علياً؛ لأنّه تنازل عن حقّه بالخلافة.

خ. المغيريّة: أتباع مغيرة بن سعيد الأجلبي، يتصورون الله رجلاً من نور، على رأسه تاج من نور، وقلبه هو مصدر كلّ صنوف الحكمة.

د. الجناحية: أتباع جناح بن صفوان، ينفون كلّ قدرة للإنسان، سواء أكانت مُلازمة لطبيعته أم مكتسبة. يرى هؤلاء أنّ الجنّة والنار تختفيان عندما تدخلهما الأرواح، وأنّ الله هو الباقي.

ذ. المنصورية: أتباع أبي منصور الأجلبي، يعتقدون بأنّ الأرض لا تخلو من الرّسل، وزعموا أنّ الجنّة رجلٌ فرض الله محبّته واحترامه؛ لأنّه الإمام الأسمى. كذلك زعموا أنّ النار رجلٌ أمر الله بأن نبغضه ونمقته. فالنار هي العدو اللدود للإمام، كما أنّ أبا بكر وعمر هما خصمان للإمام علي الذي هو الإمام الحقيقي على وجه الأرض.

ر. الخطابية: هم أتباع أبو الخطاب الأسدي، وبقطع النّظر عن العقائد الشيعية المتعلّقة بالإمامة، وبالإضافة إلى الصّفات الروحيّة التي تتوفّر في ذرية علي، تُبرز الخطابية صفة النبوة لهم. والجنّة بنظرهم مكان يحوي الملذّات التي تُشبه المملذّات الدنيويّة. ونتيجة نزعتهم الشكوكيّة في ما يتّصل بالقواعد والمبادئ القرآنيّة، «أحلّوا شرب الخمر وسماع الموسيقى وبعض المملذّات الأخرى التي حرّمها النبي ﷺ».

ز. الزراريّة: أتباع زرارة بن أعين، يُثبتون صفات الله تعالى من دون أن يُسلّموا بطابعها الأزليّ.

س. اليونسيّة: أتباع يونس بن عبد الرحمن، قالوا بأنّ الله جالس على عرش إلهي والملائكة مُحيطة به من كلّ جانب.

ش. المفوضة: يعتقدون أنّ الله تعالى بعث محمداً لكي يصلح العالم.

ص. البدائية: يخضعون لأوامر الله تعالى، لكنّهم يزعمون أنّه يعلم الأشياء بعد حدوثها؛ بذلك ينفون الصفات الإلهيّة، ممّا أدّى إلى سجالات طويلة بين الفلاسفة.

ض. الذمّيّة أو الغرابيّة: قالوا محمداً أشبه بعلي من الغراب بالغراب، فأخطأ جبرائيل في إعطاء الرسالة من علي إلى محمد.

ط. التّصيرية: يُوالون علياً والأئمّة الأحد عشر من بعده. ويأخذون عقائدهم من الإمام الحسن العسكري الذي أقام في سامراء بالقرب من بغداد.



■ طقوس عاشوراء ومراسمها:

عودة في التاريخ إلى بناء الذاكرة الجماعية الشيعية أنتروبولوجيا الممارسات الطقوسية

RITUELS ET CÉLÉBRATIONS DE LA ASHURA: RETOURS HISTORIQUES SUR LA CONSTRUCTION D'UNE MÉMOIRE COMMUNAUTAIRE CHIITE. ANTHROPOLOGIE DES PRATIQUES RITUELLES.⁽¹⁾

≡ *Les clés du Moyen-Orient*

نشر موقع مفاتيح الشرق الأوسط (Les clés du Moyen-Orient) سلسلة دراسات تمركزت حول البحث التاريخي في بناء الذاكرة الجماعية الشيعية، وتوزعت هذه السلسلة على أربعة أجزاء تناولت مجموعة رؤى تاريخية من جوانب مختلفة: علم الشهادة الشيعي وبناء الذاكرة الجماعية، أنتروبولوجيا الممارسات الطقوسية، التنمية والحركات الإصلاحية والمقاومة الشعبية). وقد جاءت هذه السلسلة من إعداد طالب الدكتوراه في جامعة لومبير ليون 2 بفرنسا «إنكي بابتيست (Enki Baptiste). تمّ نشر الأجزاء الأربعة من السلسلة على امتداد سنة 2018، ومن ثمّ قام الباحث بتعديل في الجزء الثاني بتاريخ 2020/04/22. وعليه جاءت هذه البطاقة التعريفية لتسليط الضوء على أنتروبولوجيا الممارسات الطقوسية كما يراها الباحث.

يرى الباحث أنّه من خلال الاهتمام بالبعد الوسيط للظاهرة وسيرورة بناء الهوية المذهبية الشيعية، استطعنا أن ندرك بطريقة توليفية على الأقلّ باراديغم كربلاء، أي القالب الأيديولوجي الذي يحكم هذه الممارسات الدينية.

(1) <https://www.lesclesdumoyenorient.com/Rituels-et-celebrations-de-la-%C481%sh%C5%ABr%C481-%retours-historiques-sur-la-construction-2567.html>

أما ما يختص بإحياء المراسم العاشورائية، فقد مُنعت الإحياءات لفترة طويلة، في العراق، من قبل السلطة السنيّة، التي تمثّلت بالحكم العثماني والحكم البعثي، وعادت لتزدهر في نهاية القرن العشرين بعد سقوط حكم صدام حسين في العراق (2003). وعَرَفَ نقل وبتّ المراسم العاشورائية ازدياداً ملحوظاً بسبب الإقبال الشعبي الكبير على اقتناء أجهزة التلفاز، وظهور القنوات الفضائية العربيّة ودمقرطة شبكات التواصل الاجتماعي. ولم يقتصر ذلك على الجمهور العربي، فالجمهور الغربي تابع مشاهد المراسم العاشورائية عبر شاشات التلفاز.

في المُخيّلة الغربيّة-يرى الباحث- أنّ المذهب الشيعي غالباً ما يقترن بإيران، التي تُعدّ أوّل دولة بُنيت وفق المذهب الشيعي، وتُطبّق فيها الفتاوى التي تصدر عن رجال الدّين هناك. ومع ذلك لم يتمكن كبار رجال الدّين في إيران من تأطير ذكرى شهادة الإمام الحسين، وانعكس ذلك من خلال دراسة التّنوُّع في العبادات التي تترافق مع ذكرى عاشوراء.

التمثيلات المسرحية العاشورائية (الشبيه)



تحت هذا العنوان يقول الباحث: «بادئ ذي بدء يجب أن نستحضر أولى الصّور المرتبطة بالإحياء الجماهيري لذكرى معركة كربلاء. إنّ التمثيل المسرحي العاشورائي، الذي هو ظاهرة إيرانية بالأساس، على الرغم من وجوده في بلدان أخرى غير إيران، كالعراق وسورية ولبنان. تُسمّى هذه العروض المسرحية (تعزية) بالفارسيّة التي تُحيل على الجذر العربي (عزاء). لقد جرى تأسيس التمثيل المسرحي ومزاولته في العهد الصفوي (1501-1736). ويعود التعبير الشعبي عن العزاء في ذكرى شهادة الإمام الحسين إلى الحقبة الوسيطة. وفي القرن الثامن، حيث ساد الحكم البويهّي الشيعي في العراق (932-1056)، أمر الخليفة مُعزّ الدولة (حكم بين عامي 936-949) للمرة الأولى بإفقال المحلّات التي تتعاطى النّقش وبيع ألبسة العزاء خلال الأيّام العشرة الأولى من شهر محرّم. أمّا في العصر القاجاري فقد جرى تأييد الإحياءات العاشورائية بمصادر ثابتة. وعرفت إقامة العزاء عصراً ذهبياً خلال حكم ناصر الدين شاه (حكم بين عامي 1848 و 1896).



في القرن التاسع عشر كانت تُقام العروض التمثيلية في مكان يُسمّى (التكيّة)، وهي إمّا باحة المسجد أو ساحة كبيرة. وقد يجري فيها إخراج أحد العروض. وتستلزم التمثيلية أحياناً مشاركة المئات من

المُمثّلين. وفي بداية العرض يستمع الحاضرون إلى موعظة، ثم يأتي موكب الخدّام المُكلّفين بإحلال النّظام، والفرسان، وتُعزّف الألحان العسكريّة، ثم يأتي دور المُمثّلين. تتخلّل الإحياء بعضُ الأناشيد التي يتمّ تأديتها بصوت خفيض في البداية، ثم بصوت مُرتف، وهذا الارتفاع في أصوات المُمثّلين يرتبط بازدياد حدّة وحماس الجمهور. ومن الملاحظ أيضًا أنّ المُمثّلين الذين يؤدّون دور أعداء الإمام - وهم بالنتيجة أعداء الإسلام- يرتدون الزيّ الأسود ويتّسم كلامهم بنبرة فظة كي لا يُعرب الجمهور عن أيّ إعجاب بهم أو تعاطف معهم.

المجالس الحسينيّة والموكب

تراجعت العروض التمثيلية العاشورائيّة أمام المجالس والموكب الحسينيّة، أصبحت تُقام غالبًا في الحسينيّات والمنازل في الأيام العشرة الأوائل من شهر محرم. ويُقرأ في كلّ يوم مقطع من سيرة استشهاد الإمام الحسين بأسلوب رثائيّ أمام حشدٍ من الموالين للحسين. ويعتقد الشيعة فعلاً أنّ التعبير عن لوعة فقد الإمام الحسين يوصل صاحبه إلى النّجاة والخلّاص، وأنّ الحسين يشفع للذين يوالونه ويؤمنون بإمامته. كما تُسلّط هذه المجالس الضّوء على فضائل البكاء على الحسين.



يصبح الفضاء العامّ خلال شهر محرم مسرحًا لإقامة المراسم العاشورائيّة، بحيث تكتظّ الطرقات بالصّور والأيقونات الدينيّة، وتعبج بمجالس العزاء والمُصلّين. وبفضل التقنيات الحديثة بات بمقدور المساجد نشر الأناشيد والمجالس من خلال أقراص (CD-Rom) أو أشرطة كاسيت، ما سمح للمُشدين وقرّاء العزاء بإيصال صوتهم خارج حدود بلدانهم، ومن هؤلاء الرادود العراقيّ باسم الكربلائي الذي يرأس مجالس اللّطم في حسينيّة الحاج داود عاشور، والذي حازت فيديواته المنشورة على يوتيوب على أكثر من خمسين مليون مشاهدة. إنّ شعيرة اللّطم تُعكس بالدرجة الأولى شعور النّدم والتوبة لدى الموالين للإمام الحسين. وأمّا اللّطم فيُشارك فيه النساء كما الرجال، فيلطمون على صدورهم بإيقاع واحد يكون تارةً بطيئًا وتارةً أخرى سريعًا. وكلّما



اقتربنا من اليوم العاشر من محرم تصاعدت حدّة اللّطم وتسارعت وتيرته وتعالّت الصيحات. وترى صابرينا مرفن أنّ الشعائر الحسينيّة -ومن بينها اللّطم- تختلف اختلافًا كبيرًا من بلد إلى آخر. ففي العراق مثلاً تخرج النّساء في الموكب،

وتُشارك في اللَّطم بينما لا نجد ذلك في سوربة ولبنان. وهذا الاختلاف نابع من التوظيف السياسي للمراسم العاشورائية من قبل القادة السياسيين في تلك البلدان. أمّا الرجال فهم أكثر حدّة خلال المشاركة في مواكب اللَّطم؛ لأنّهم يطمون صدورهم بقوة للدلالة على بأسهم وقوتهم. ويجب أن يكون اللَّطم على الصدور قوياً بحيث يكون مسموعاً ويثير الإعجاب والذهول وأن يكون متواصلاً وعلى إيقاع واحد. تُقام مجالس اللَّطم في الأمكنة العامّة وتترافق مع أناشيد دينية يتمّ إلقاؤها وفق إيقاع مدروس.

تطهير الجسد بالإماتة

لا شكّ أنّ الأمر يتعلّق بالنقطة الأكثر حساسية في نظر رجال الدين الشيعة الذين ينظرون إلى بعض هذه الممارسات بوصفها بدعاً تُسيء إلى الإسلام وصورته. وفي سعيهم إلى منع تلك الممارسات باسم الحفاظ على طهارة الإسلام وصورته الناصعة اصطدموا بمعارضة محلية.

إنّ الممارسة الأكثر شيوعاً التي تندرج تحت هذا العنوان هي الجلد. تجري هذه الممارسة في الفضاء العام وتشمل الرجال -دون النساء- الذين يجلدون ظهورهم العارية لدقائق طويلة. في العراق والضاحية الجنوبية لبيروت وفي بعض بلدان آسيا الوسطى والشرقية يكون الجلد باستخدام السلاسل المعدنية أو السوط ممّا يُسبب الجروح ونزف الدّم.

يُضاف إلى الجلد التطبير الذي أثار استنكار علماء الدين الشيعة. يُمارس الرجال التطبير في صباح اليوم العاشر من



محرمّ وذلك بإحداث جرح في جباههم. يقوم أحد الأشخاص بشقّ جبهة المشارك في المراسم بواسطة سيف أو موس بحيث يؤدي إلى خروج بعض الدّم الذي يُبلّل ثوبه ثم يبدأ بالسير حافي القدمين في الجادة المؤدية إلى أحد المشاهد المقدّسة، لكن لا يُسمح له بالدخول باعتبار أنّ الدّم هو من النجاسات. إنّ إراقة الدّم من أجل الحسين في مناسبة استشهاده وطلب الشفاعة منه هو عبادة يريد صاحبها بها تطهير ذاته، ويُشكّل خاتمة المراسم العاشورائية.

الزيارة

إنّ الحجّ إلى الأضرحة الشيعية المقدّسة أمرٌ شائعٌ جدّاً في الشرق الأوسط، حيث بدأت زيارة الأضرحة الخاصّة بكبار رموز الشيعة في القرن العاشر، ونمت وازدهرت بعد انتشار المذهب الشيعي. ويُقسّر ذلك من خلال تشكّل العقيدة الشيعية في النصف الأوّل من الحقبة الوسيطة والتي تذهب إلى أنّ أئمة الشيعة معصومون،

وترى أنّ الحسين بشكل خاصّ يتمتّع بقدرات وقائية (prophylactique) أوصلته إلى مرتبة (سيد الشهداء)، وأنّ زيارة مرقدته في كربلاء واجب على كلّ شيوعي موالٍ.



ولأنّ زيارة ضريح الحسين في كربلاء تستوجب قطع مسافات طويلة انبرى الشيعة إلى تشييد وإقامة أضرحة وأماكن أخرى للعبادة. وقبل اندلاع الحرب السوريّة كانت الشام وجهة مفضّلة للزائرين الشيعة، أينما يقع فيها المسجد الأموي حيث جرى الاحتفاظ برأس الإمام الحسين لوقت قصير. وثمة مقبرة باسم (باب الصغير) دُفِن فيها شهداء كربلاء. وأمّا المكان الأبرز الذي فيه

تُقام مراسم عاشوراء فهو مرقد السيدة زينب، التي تنبع عظمتها من كونها أخت الإمام الحسين، وهي كانت حاضرة في كربلاء. لم تقتل في المعركة، وإنما وقعت في الأسر وجيء بها إلى قصر يزيد في الشام وهناك وقفت أمامه باعتزاز. وتعدّ زيارة مرقدتها في الشام (حجّ الفقراء). وفي حلب (شمال سورية)، شُيّد بدعم إيراني مزار يضمّ الصخرة المقدّسة التي وُضِعَ عليها رأس الإمام الحسين والتي سالت عليها قطرة دم منه.

مع ازدهار فنّ صناعة الأيقونات في إيران، ترافقت هذه الزيارات غالباً مع تمثيلات تتناول الإمام الحسين -بما في ذلك خلال التمثيليات العاشورائية. ولكن تُطرح في العالم العربيّ بخاصّة، مشروعية هذه التمثيلات المجازية، مع العلم أنّ رجال الدين في إيران لم يقفوا بوجهها، ومنذ العصر القاجاري ارتبطت اللطميات بالمجال الفنّي. وفي بعض البلدان، من بينها بلدان جنوب آسيا، اتّجه الاهتمام نحو الذخائر.

أجرت الأستاذة صابرينا مرفن دراسة ميدانية في مقاطعة (حيدرآباد) في الهند كشفت خلالها أهميّة هذه الذخائر خلال إقامة المراسم العاشورائية. يتمّ تصنيع هذه الذخائر التي تمثّل أهل البيت -الحسين، وعلي الأكبر، وعلي الأصغر، وابن أخيه القاسم، وابنته سكينه، وأخته زينب، وفاطمة- من البرونز أو الفضة، وتُحفظ بداخل صناديق خشبيّة. طوال الأيام العشرة الأوائل من شهر محرم يتمّ عرضها في مدارس تعليم وحفظ القرآن؛ لكي يُتاح للموالين مشاهدتها. وكما في العراق وسورية ولبنان، تُخصّص بعض الأيام لتناول سيرة بعض الشخصيات الكربلائية وتأدية الأناشيد الرثائيّة، التي تحكي وقائع من كربلاء، بحيث يتمّ التركيز على شخصيّة من أهل البيت. فالיום السابع مُخصّص لشهادة القاسم وبعد الانتهاء من تلاوة العزاء يقوم المنظّمون بتنفيذ تمثيلية تحكي تفاصيل زواجه من فاطمة ابنة الحسين واستشهاده ودفنه. اليوم التاسع مُخصّص للعباس. واليوم العاشر هو قمة اللوعة والرثاء حيث يتناول العزاء فاطمة ويخرج الرجال في مواكب التطبير مُعلنين استشهاد الحسين.



معاهد استشرافية

- المعهد الفرنسي للشرق الأدنى

شخصيات استشرافية

- سيدي بارساباجو



المعهد الفرنسي للشرق الأدنى

المقدمة

تعددت الدراسات والاتجاهات لمعرفة شعوب العالم العربي والإسلامي، وشملت تخصصات ومجالات مختلفة من قبيل الدراسات اللغوية، والتاريخية، والاجتماعية، والسياسية، وغيرها. ولم تكتف بذلك، بل تخصصت في تطورات هذه العلوم وتغيراتها، ما جعلها تكتسب معايير دقيقة في فهم حركة المجتمعات ومعرفة أسباب نجاحها وفشلها. بل أكثر من ذلك معرفة وسائل تغيير هذه المجتمعات وتوجيهها.

لقد نشأت مؤسسات خاصة تُعنى بدراسة العالم العربي والإسلامي، ومن هذه المؤسسات تقدم المعهد الفرنسي للشرق الأدنى كأنموذج فاعل في عدة دول عربية (العراق، الأردن، لبنان، سوريا، فلسطين). إذ يقوم هذا المعهد بنشاط علمي واسع ومتعدد المجالات. وتظهر أهمية المعهد في ارتباطه المباشر بوزارة الخارجية الفرنسية من جهة وانتشاره على عدة دول مهمة في الشرق الأدنى من جهة أخرى.

نقوم في هذه الدراسة بعرض المعهد من خلال التعريف به، وعرض نماذج من الأنشطة التي يقوم بها من مؤتمرات ومحاضرات وندوات، وأيضاً من خلال إصداراته (كتب ومجلات). ولقد اعتمدنا في هذا العمل على موقع المعهد على الإنترنت كمصدر أساسي للمعلومات.

أولاً: التعريف بالمعهد

يعدّ المعهد الفرنسي للشرق الأدنى جزءاً من وزارة الخارجية الفرنسية والمركز الوطني للبحوث العلمية، ويمسح نشاطه العلمي كل من العراق والأردن ولبنان وسوريا والأراضي الفلسطينية في جميع ميادين العلوم الإنسانية والاجتماعية من العصور القديمة إلى أيامنا هذه. وكان هدف مؤسسه تطوير التآزر الدولي المتعددة التخصصات في ظلّ مؤسسات ذات خبرة طويلة في مجال البحث والتأهيل والتعاون، فدمجوا في عام 2003 مؤسسات البحث الفرنسية الموجودة في الشرق الأدنى منذ 1922. ومنذ ذلك الوقت، يسعى المعهد إلى بناء معارف علمية مشتركة مع المجتمعات التي تستضيف باحثيه ومراكز الأبحاث الفرنسية والعالمية. يعمل المعهد في ثلاثة أقسام علمية: علم الآثار وتاريخ العصور القديمة، الدراسات العربية، الدراسات المعاصرة. ويكرس موارد مهمة لنشر الكتب والمجلات العلمية المرتبطة ببرامجه وأنشطته العلمية.



1. قسم الدراسات العربية والعصور الوسطى والحديثة:

تتمثل السياسة العلمية لهذا القسم في تشجيع البحث في مجالات تاريخ الشرق الأوسط من بدايات الإسلام (القرن السابع) إلى نهاية الإمبراطورية العثمانية (الربع الأول من القرن العشرين)، الأدب العربي الكلاسيكي والحديث، واللغويات العربية، وتاريخ الفكر الديني الإسلامي، وكذلك اللغة العربية المسيحية واليهودية. وتدخّل مجالات الفلسفة العربية في القرون الوسطى وتاريخ العلوم والتكنولوجيا أيضًا في مجاله. كما يعزز هذا القسم خبرته في علم الآثار والخط العربي وتاريخ الفن الإسلامي في الشرق الأوسط. يتم تنظيم الأنشطة العلمية لهذا القسم حول برامج فردية أو جماعية تستفيد من التمويل الفرنسي أو الدولي، وهي مقسمة حاليًا إلى أربعة مجالات للبحث:

- علم الآثار، الخط العربي والثقافة المادية
- الفلسفة الإسلامية وتاريخ الأفكار
- علم اللغة التفاعلي في العربية
- التاريخ الحضري والاجتماعي للعصر العثماني.

2 - قسم الآثار وتاريخ العصور القديمة

هذا القسم مسؤول عن تطوير البحث العلمي، والتعاون، وأنشطة التدريب ونشر المعرفة، في مجال التاريخ وعلم الآثار في الشرق الأوسط، من عصور ما قبل التاريخ إلى ظهور الإسلام. تمتد خبرة المعهد الجغرافية في هذا المجال إلى العراق والأراضي الفلسطينية. وأهم المحاور التي يعمل عليها هذا القسم هي:

- التشجيع والتنسيق وتطوير نشر البحوث
- تدريب باحثي وفنيي المستقبل
- الخبرة والتعاون مع المؤسسات المحلية والدعم العلمي واللوجستي والفني للفرق الأثرية العاملة في المنطقة.

3- قسم الدراسات المعاصرة

يتمثل نشاط هذا القسم في هدف ثلاثي: تطوير التميز البحثي والشراكة مع مراكز البحوث الأجنبية والمحلية، وتدريب المتخصصين من الشرق الأوسط، وتكثيف البحوث التطبيقية حول الديناميات المعاصرة لهذه المجتمعات. يوجد في القسم أيضًا مرصد حضري للشرق الأدنى وعدة حلقات دراسية تجري في فضاءات مختلفة. وينشط هذا القسم في أربعة محاور أساسية وهي:

- التغييرات الاجتماعية والاقتصادية والتركيبات السياسية
- المدن والبيئة والطفرات المكانية

- الهجرة والصراع واللاجئين

- الإنتاج الثقافية والأرشيف والمذكرات

المجلس العلمي

رئيس المجلس العلمي: السيدة سيلفي دينوكس، مدير الأبحاث - CNRS - الشرق & البحر المتوسط (UMR 8167)

أعضاء المجلس العلمي:

السيد جوزيف بهوت، أستاذ العلوم السياسية / CERI مستشار دائم في CAPS / ETI75 باريس

السيد فيليب بورمود، أستاذ مشارك - كلية الآداب والحضارات - جامعة ليون 3

السيدة كورين كاستل نوغريت، مدير الأبحاث - CNRS - بيت الشرق والبحر المتوسط (UMR 5133)

السيد أبو بكر الشرايبي، أستاذ الأدب العربي - INALCO / قسم الدراسات العربية

السيدة سيلفي دينوكس، مدير الأبحاث - CNRS - الشرق & البحر المتوسط (UMR 8167)

السيد ستيفان لاکروا، أستاذ مشارك في كلية الشؤون الدولية للباحث في العلوم السياسية في CERI

السيد فريديريك لاغرانج، مدير اتحاد الدراسات العربية والعبرية في جامعة باريس السوربون (باريس 4)

السيدة بريجيت مارينو، باحث - CNRS / IREMAM

السيدة فاليري ماتويان، باحث في الكوليدج دي فرانس / CNRS

السيدة ماري أوديل رووسيت، باحث - CNRS / مجموعة البحوث والدراسات حول البحر المتوسط والشرق

الأوسط (GREMMO)

السيد كيفن تروديك، محاضر في التاريخ القديم - جامعة باريس - مؤسسة كريتييل فال دو مارن

السيد إريك فيرديل، أستاذ العلوم السياسية / CERI

السيدة مرسيديس فوليت، مدير الأبحاث - CNRS / مدير مختبر (CNRS / INHA)

يتعاون المعهد الفرنسي للشرق الأدنى مع مجموعة من المؤسسات العلمية والأكاديمية ومنها: جامعة باريس الرابعة

السوربون - باريس؛ الجامعة الأمريكية في بيروت - لبنان؛ مركز جاك بيرك - الرباط؛ مركز الدراسات بالإسكندرية

(Cealex) - الإسكندرية؛ مركز الدراسات الاقتصادية والقانونية والاجتماعية والتوثيق (Cedej) - القاهرة؛ مركز

النشر الإلكتروني المفتوح (Cléo) - مرسليليا، وغيرها الكثير من المؤسسات.



ثانياً: المؤتمرات والأنشطة العلمية

يقوم المعهد الفرنسي بنشاطات عدّة، تمتدّ على عدّة دول من قبيل العراق ولبنان وسوريا والأردن وفلسطين، وتتمثل هذه النشاطات في مؤتمرات وندوات وحلقات نقاش. وفي التالي نقوم بعرض نماذج من هذه الأنشطة حتى نقف على أبرز اهتمامات المعهد العلمية التي يسعى إلى تحصيلها منذ عشرات السنين:

- مؤتمر: الفلسفة والعلوم واللاهوت في العالم الإسلامي في القرن التاسع (2019/10 / 22-21)

وجاء برنامج المداخلات كالتالي:

- التفاعلات الثقافية والفلسفية بين بيزنطة والإمبراطورية العباسية في القرن التاسع: مناقشة لبعض الأمثلة التي تنطوي على المنطق الأرسطي، كريستوف إريسمان (قسم الدراسات البيزنطية واليونانية الحديثة، جامعة فيينا)
- نهاية العصور القديمة المتأخرة، بداية الفلسفة العربية، إلفيرا واكيلنج (قسم دراسات الشرق الأدنى، جامعة فيينا)

- الجاحظ وأرسطو، باسم مسلم (كلية الملك، جامعة كامبريدج)

- الجاحظ وتهجين الحيوانات، جورج صليبا (مركز فاروق جبر / قسم التاريخ، الجامعة الأميركية في بيروت)
- سؤال التسخير (taskhīr): بين الفلسفة وعلم الحيوان واللاهوت، غيوم دي فولكس دارسي (المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية)

- مكان وطبيعة دراسة الروح في تصنيف الفارابي للعلوم الطبيعية وعلاقته بالإنتاج الفلسفي في القرن التاسع، جودة جبور (المركز الوطني للبحث العلمي باريس)

- الإبستمولوجيا في نظرية الآيات: بين الطب وعلم الكلام، غريغور شوارب (معهد الدراسات الإسلامية، جامعة فراي برلين)

- شظايا جديدة من كتاب سني في أوائل القرن العاشر: مقالات المقرئ، زياد بو عقل (CNRS / ENS، باريس)
- نقاش حيوي حول الجسد والمادة قبل (وبعد) ابن سينا، أندرياس لامير (فلسفة، جامعة ترير)

- مؤتمر: سوريا اليوم: التغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في الواجهة بين الأراضي الوطنية ومساحات الهجرة (2019/09 / 30-29)

وردت فيه المداخلات التالية:

- الخطاب الرئيسي: إعادة التشكيل المحلي وعبر الوطني للمجتمع السوري. ليلي فيجنال (رين 2 / أوكسفورد)

لوحة 1. التحولات الاجتماعية

- من السياسي إلى الاجتماعي: سرعة وعمق التحولات الثورية. شارلوت لوريز-روديونوف (كلية لندن الجامعية)
- تحول مجال الأسرة بين السوريين في الأردن. فالنتينا نابوليتانو (Ifpo)
- السوريون في ظل نظام الكفالة: وجهات نظر أنثروبولوجية على التفتت الاجتماعي. ليلي دريف (EHESS)
- لوحة 2. الديناميات الاقتصادية والمساعدة الإنسانية في سياق إعادة الإعمار غير المؤكد
- التغييرات الهيكلية والاقتصادية والجغرافية لمجتمع الأعمال السوري. بولين خوري (المعهد الفرنسي للجغرافيا السياسية)
- آثار الاقتصاد السياسي للحكومة السورية على الهياكل الاجتماعية والاقتصادية والمجتمعية في سوريا. جوزيف ظاهر (معهد الجامعة الأوروبية)
- تحديات الرقة في الحكم وإعادة الإعمار. ميريام عباس (Ifpo).
- الهجرة طويلة الأجل والمرونة الزراعية الرعوية: الرعاة السوريون في الأردن. ماثيلد جينجر (باحث مشارك، مشروع PASTRES)
- المائدة المستديرة العامة حول الكتب: سجلات الثورة السورية بقلم سناء يازجي (الذاكرة الإبداعية)، وسوريا بعد الانتفاضة بقلم جوزيف ظاهر (معهد الجامعة الأوروبية)
- لوحة 3. القوى السياسية والجهات الفاعلة # سوريا
- صعود الدولة الإسلامية بعد الخلافة: كيف تغذي أنماط الحكم المناهضة للتمرد عودة داعش في دير الزور. أحمد مهدي (مركز الحوار الإنساني)
- عودة أمن الدولة إلى سوريا الأسد. أنيس فافير (معهد الجامعة الأوروبية)
- عمليات الاختطاف الجماعي لأعضاء الأقليات في سوريا: إعادة النظر في الطوائف السياسية في زمن الحرب. آنا بوجو (EHESS)
- مناطق التمرد والقتال والجوع. جغرافية الأزمة السورية في التاريخ الطويل الأجل. ماثيو ري (ورشة عمل حول تاريخ IFAS-Research / Wits)

- إعادة النظر في الحوكمة من الأسفل: تجارب ونماذج الحكم الذاتي، المجتمع المدني الشمول واللامركزية في الصراع وما بعد الصراع سوريا. أورورا سوتيمانو (مركز الدراسات السورية في



جامعة سانت أندروز) لوحة 4. القوى السياسية والجهات الفاعلة # سوريا / المنطقة

- الإنتاج المؤسسي والحوكمة أنماط «الحركة الكردية» في سوريا: ثورة في الداخل

مؤتمر: مصادر وطرق دراسة الظاهرة التبشيرية في الشرق الأوسط من نهاية القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا (12-08)

:(2019/09 /

احتوى هذا المؤتمر على عدة نشاطات مختلفة تمثلت في نقاشات علمية وزيارات ميدانية لبعض المؤسسات. ونذكر بعض عناوين هذه النشاطات في التالي:

- المائدة المستديرة: ج. دو روي، س. جابري - ثينونت وس. مايور-جاون، الإثنوغرافيا والحقيقة التبشيرية: ردود الفعل

- المائدة المستديرة: س. غابري ثينون، ن. نيفو، ن. بويغ، التباين الديني والأنثروبولوجيا الحسيّة

- المائدة المستديرة: ن. بويغ و ج. دي جونزاغو، الفيلم الوثائقي المرئي والصوتي في الأنثروبولوجيا.

- محاضرة ش. فردي (Ch. Verdeil)، المهام والمبشرون في الشرق الأوسط (القرن 19 - 21)، أساليب جديدة.

- أنثروبولوجيا المدارس والمستشفيات التبشيرية: زيارة إلى شبرا. مينا إبراهيم

- زيارة عامة لمدرسة الكرمليت

- زيارة المدرسة المهنية دون بوسكو

- زيارة مدرسة الراعي الصالح

- زيارة مستشفى / أبرشية ش. تيريزا

استنتاجات وتأمّلات في مركز شبرا للأبحاث

مؤتمر: دراسات نقدية في المخطوطات والمحفوظات والنقوش العربية من 4 إلى 8 فيفري 2019، بيروت-الكلسك

والبلموند

عابن هذا المؤتمر مجموعة من المخطوطات، وقد جاءت المداخلات كالنحو التالي:

- «النصوص القديمة والمخطوطات العربية» ماري جينيف غيسدون (BnF Paris)

- مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني (1290 هـ): دراسة لنص المخطوطة

- «طبعة نقدية لنصّ مخطوط من يحيى ابن عدي»، نادين عباس (جامعة القديس يوسف، منظمة العمل الدولية)
- أنماط الناسخ: دراسات لبعض المخطوطات، نادين عباس
- «حل الصعوبات في تحرير نص برلام ويواصف⁽¹⁾»، حارث إبراهيم (جامعة البلمند)
- أرشيف الأديرة في لبنان في زمن العثمانيين، سعاد سليم (جامعة البلمند)
- «كتابات عربية مسيحية من مصر وفلسطين في العصور الوسطى: حالة البحث وطرق تحديد الهوية»، أنا لاغرون (دري إريام إيكس إن بروفنس / القاهرة)
- ورشة عملية في مركز القديس يوسف للمخطوطات في دمشق
- «الحياة الجديدة، الحياة التاريخية: يسوع والملك أبغر من خلال مخطوطة عربية مسيحية»، مارلين كنعان (جامعة البلمند)
- «صناعة الكتاب»، ماري جينيفيف غيسدون (BnF Paris)
- «تطور الكتابة العربية من خلال المخطوطات» جميل إسكندر (الجامعة اللبنانية)

- ندوة: العلوم الإنسانية بين الماضي والمستقبل: التحديات والرهانات ووجهات النظر (2019/06/15)

وهي ندوة دولية متعدّدة التخصصات تُنظّم بالشراكة مع المعهد الفرنسي للشرق الأدنى (Ifpo) 30-31 أكتوبر 2019 الجامعة اللبنانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القسم الخامس - صيدا، لبنان

تهدف هذه الندوة إلى تسليط الضوء على القوّة المتعالية للعلوم الإنسانية، وقدرتها على إعادة الاتصال بالماضي، ومواجهة مفارقات الحاضر والاستعداد للمستقبل. وبهذه الطريقة، تبدأ بتأملات وجودية حول القيم المشهورة في مجتمعاتنا. وتركزت طروحات هذه الندوة حول الإشكاليات التالية: ألا ينبغي أن يلهمنا الانهيار المستشري للإنسانية إلى إعادة النظر في وضع العلوم الإنسانية التي من المفترض أن تحيي ذاكرتنا الجماعية وتراثنا الثقافي وأساطيرنا التأسيسية؟ ألن يكون من المثير للاهتمام مراجعة طريقنا دون علامات مرجعية والتطرق إلى تطور العلوم الإنسانية مع مرور الوقت لتلبية التوقعات الجديدة للإنسان والتوفيق بين المعرفة؟ وتدرج الندوة تحت ثلاثة محاور أساسية وهي:

المحور 1: العلوم الإنسانية التي تضمن الذاكرة الجماعية

- عمل الذاكرة الفردية والجماعية في الأدب.

(1) هي قصة دينية تداولتها الكنائس الشرقية والغربية منذ قرون مضت، تضمنت أهم التعاليم المسيحية والجهاد في سبيل الإيمان وانتشاره.



- التاريخ في الأدب المعاصر: يقوم عدد كبير من الكتاب المعاصرين بإعادة كتابة التاريخ لاستعادة الحاضر وبالتالي تحديد المستقبل.
- الشخصيات التاريخية العظيمة في الحروف والفنون.
- حالة علم الآثار على الصعيدين الوطني والدولي.
- الأساطير في العلوم الإنسانية
- التراث الاجتماعي الثقافي في العلوم الإنسانية.
- المحور 2: العلوم الإنسانية التي تواجه الأحداث الجارية
- جهات اتصال اللغات من منظور اجتماعي-تاريخي، اجتماعي-لغوي، اجتماعي-ثقافي ...
- تجريد اللغات.
- تأثير العولمة على العلوم الإنسانية: التجديد الوثائقي في التاريخ، الابتكارات في مجال علم الآثار الجغرافي، إلخ.
- ركزت نظرات العلوم الإنسانية على المجتمع الحالي وعلى الفرد: الأدب والمجتمع.
- دور علم النفس في الجبر الفردي وعبر الأجيال.
- التاريخ والعالمية والتعددية الثقافية.
- تأملات حول علاقة العلوم الإنسانية بالعلوم الطبيعية: علاقة علم الآثار بالهندسة الوراثية وتقنيات الواقع الافتراضي إلخ.
- ج- المحور 3: النهوض بالعلوم الإنسانية ومستقبلها
- منهجيات التدريس الجديدة للرسائل واللغات والآثار والجغرافيا وعلم النفس ...
- مقاربات جديدة للنقد الأدبي
- قابلية التوظيف في العلوم الإنسانية.
- قدرة العلوم الإنسانية على التنبؤ بالمستقبل.
- المرافقة النفسية والاجتماعية لفرد الغد.
- مستقبل العلوم الإنسانية في عالم وسائطي.

- ندوة: نفير سوريا (1860-1861) وبدايات النهضة العربية في بلاد الشام (2019/09/9)

ندوة تحت إشراف ليانس هانسن، أستاذ التاريخ المشارك في جامعة تورنتو بكندا. نشر العديد من الدراسات حول التاريخ المدني والفكري للعالم العربي. ومن بين مؤلفاته «الفكر العربي في عصر السلطوية: نحو تاريخ فكري للحاضر» (2018) و«الفكر العربي بعد عصر التحرر: نحو تاريخ فكري للنهضة العربية (2017)» و«بيروت في نهاية القرن التاسع عشر: تكوين ولاية عثمانية (2005)».

وتنظر هذه المحاضرة إلى الوقت الذي نشرت فيه جريدة «نفير سوريا» بين سبتمبر 1860 وأبريل 1861، إذ كان مؤلفها المجهول -وطني- قد شهد للتو وطنه يتعرض لعنف لم يسبق له مثيل في ما يعتبره الكثيرون اليوم الحرب الأهلية الأولى في لبنان. بالاعتماد على ثالث رينهارد كوسيليك الدلالي: لغة- تاريخ- أحداث، يناقش يانس هانس هذا الحدث على أنه يمثل تمزقاً في التاريخ الفكري والمفاهيمي العربي. وكانت نفير سوريا نصّاً أساسياً للنهضة افتتح البحث عن مفردات جديدة لالتقاط الظواهر الحديثة والتطورات الاجتماعية والسياسية.

- يوم دراسي: الحج إلى الشرق الأوسط: أشكال وتأثير وتطور الممارسات الدينية، من أواخر العصور القديمة إلى يومنا هذا (القضايا الجيوسياسية والاقتصادية والدينية) (19/06/13)

يهدف اليوم الدراسي هذا إلى الجمع بين مختلف المتخصصين حول مسألة الحج المسيحي والإسلامي؛ لدراسة طفرات هذه الظاهرة من زوايا مختلفة (أثرية وتاريخية وطوبوغرافية وأنثروبولوجية وما إلى ذلك)، ولفهم تطورها وتطور وضع الأماكن المقدسة في مختلف السياقات الاجتماعية والجيوسياسية والاقتصادية.

وجاءت المداخلات في هذا الموضوع على الشكل التالي:

- قدّم فريدريك ألبّي (IFPO / UMIFRE 6 MEAE / CNRS) محاضرة تحت عنوان «مواقع الحج المسيحي والممارسات التعبديّة في فينقيا البحرية في العصر البيزنطي من القرن الرابع إلى القرن السابع الميلادي»، عاين فيها طريق فينيسيا البحري المزدحم بمواقع الحج المسيحية المدعومة بإرادة الأساقفة، مشيراً إلى ضرورة فهم الآخر خاصة في الرحلة التي قادت الحجاج الأجانب من الشمال إلى فلسطين، وإلى الجنوب، في بورفيريون، ساربيتا، وباسا، التي كانت ملاذات مخصّصة لأنبياء التوراة، الذين توجد لديهم أيضاً أدلة مادية تمثل مدخل الأرض المقدسة. وفي غياب الوثائق الأثرية، يرجع المحاضر إلى السجل الأدبي للقديس سانت ليون في طرابلس، والذي لعب دوراً كبيراً في المناقشات اللاهوتية في ذلك الوقت.

- قدّمت سيلفيا شيفولو (CNRS / LARHRA) مداخلة بعنوان: «هويات مرتحلة: تخصيص واستخدام «الجنسيات» أثناء الحج إلى مكة المكرمة (1850-1950)»، وفيها تعرض رؤية أنثروبولوجية كلاسيكية تربط الحج بمفهوم الوحدة، وهي وحدة متجانسة ومتكافئة تعارض بنية المجتمعات في الأوقات العادية، وهي



- نوريج نفيو (CNRS / AMU / IREMAM)، الأضرحة والحج: مرايا التسلسل الهرمي الاجتماعي في توتر في جنوب شرق الأردن، 1940-1890.

- ندوة في مركز القلعة الثقافي في أربيل 28 أبريل 2019، بعنوان «القبيلة في صيغة الجمع: تأملات حول الواقع القبلي في حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية»

وجاءت عناوين المداخلات كالتالي:

- د. لؤلؤة الرشيد (مركز كارنيغي للشرق الأوسط)، القبائل العراقية الشمالية والشمالية الغربية والدولة الإسلامية - ألكسيا العزاوي - مارتن (CHERPA / Sciences Po Aix)، تأمل في إنتاج الهوية في تكريت
- الدكتورة هالة فتاح (باحث مستقل)، إعادة تشكيل القبائل في كل من الهاشمية وجمهورية العراق
- لورا ستوكر (Laura Stocker (UNINE / University of Neuchâtel)، تنقل القبائل البدوية ومواشيها في المناطق - الحدودية السورية العراقية خلال فترة ما بين الحربين وخلال الحرب العالمية الثانية
- ستيفان ديدوغنون (CNRS/CETOBAC/EHESS)، القبيلة & الدين: القيادات في عالم البلوش والقبائل & الكتبة: الظواهر القبلية والدينية في الشرق الأوسط، من الحرب العالمية الثانية إلى جهادية العصر الحديث
- ميليساندي جانان (جامعة ستانفورد)، القبائل والهويات العرقية والدينية والسياسة في منطقة سنجار: 1800-2013

- الدكتور آرثر كيسناي (باريس السوربون)، السياسة القبلية في كركوك

- محاضرة: بورتريه البطل الشعبي: حين يرسم الحكواتي ما يحلم أن يكون، 4 أبريل 2019

محاضرة باللغة العربية يلقيها إياس محسن حسن في المعهد الفرنسي للشرق الأدنى عمان، وهو أستاذ مساعد في جامعة ليون الثانية. حاصل على درجة التبريز (Agrégation) في اللغة العربية من وزارة التربية والتعليم العالي والبحث العلمي في فرنسا (٢٠٠٧)، وعلى دكتوراه في لغات وحضارات ومجتمعات المشرق من جامعة باريس الثالثة - السوربون الجديدة (٢٠١١). متخصص في تاريخ الأدب العربي القديم وتاريخ المصادر السردية الدينية فيه. عضو دائم في مركز إيكار للأبحاث اللغوية (ليون، فرنسا) وباحث مشارك في المعهد الفرنسي للشرق الأدنى. يعمل منذ 2013، بالاشتراك مع الأستاذ جورج بوهاس، على تحقيق سيرة الملك الظاهر بيبص حسب الرواية الشامية والتي صدر منها ستة عشر جزءاً في دمشق وبيروت.

يتطلع الباحث من خلال هذه المحاضرة إلى السيرة الشعبية لشخصيات تاريخية طبعت الذاكرة الجمعية بإنجازها الفردي - كعنتر وخرقة جدار العبودية - أو الجماعي - كالسلطان بيبص البندقاري وردّه المغول



على أعتاب مصر- لكنها، بوصفها أولاً وأخيراً نتاج أدبي، فإنها لا تنزاح عن التاريخ الذي تصدر عنه لتعيد تكوينه في فضاءات تخيلية يكاد يصبح السرد فيها أهم من المسرود. بهذا المعنى، ليست السيرة تفصيل حياة من عاشوا في التاريخ وغيره بقدر ما هي سرد الاعتبار مما جرى. وبقدر ما هي تمجد شخصياتها المركزية، تقوم السيرة بتمجيد تصورات وقيم الطبقات التي تصدر عنها، ليصبح التاريخ فيها نوعاً من الحاضر المعاد صوغه جيلاً بعد جيل. فلعل خلاصتها لا تكمن فيما تقول عن عترة بن شداد أو عن الملك الظاهر، بل في ما تقول هذه الشخصيات المعاد صوغها عن الحكواتيين الذين رووا السير في المقاهي الشعبية طوال قرون، عن جمهور هؤلاء الحكواتيين وعن الفضاء الثقافي والسياسي الذي تشكلت فيه هذه النصوص وانتقلت ومورست. استناداً إلى نماذج مقتبسة من سيرة الملك الظاهر بيبرس حسب الرواية الشامية وبمناسبة صدور الجزء السادس عشر منها، تقترح هذه المحاضرة تحليلاً للطبقات الدلالية التي يحملها بورتريه البطل الشعبي أثناء مرحلة صعوده، كما ترسمه الدفاتر الأولى من السيرة والتي تنبأ ببطل مجهول سيأتي من الشرق، ثم تتبّع صعوده منذ ظهوره طفلاً مريضاً في أحد حمامات دمشق الشام وحتى دخوله ديوان الملك الصالح أيوب في القاهرة فارساً.

ثالثاً: المنشورات

يقوم المعهد بنشر العديد من الأعمال تدرج تحت تخصصات متنوعة من قبيل: اللغة العربية وآدابها، الدين والفلسفة، علم الآثار وتاريخ العصور القديمة، أطلس: الشرق الأوسط في الخرائط، مدن الشرق الأوسط من الأصول إلى يومنا هذا، سوريا المعاصرة... ونذكر بعض الكتب المنشورة في التالي:

- اللغة العربية وآدابها:

- من النظرية إلى الاستخدام: إعادة اختبار نظام القياس العربي القديم، برونو باولي

- الإبداع الروماني المعاصر في سوريا من عام 1967 إلى اليوم، إليزابيث فوشير

- الوباء الكبير في إسبانيا المسلمة في القرن الرابع عشر: قصة معاصر لوباء القرن الرابع عشر

- أحمد بن علي بن محمد بن خاتمة [أبو جعفر بن خاتمة الأنصاري]، سوزان جيغاندت

- شعر التشيع في القرن الثالث للهجرة: وهذا الكتاب عبارة عن دكتوراه دولة نوقشت في جامعة السربون باريس، المؤلف طيب الأشاش

- استراتيجيات نادرة في تنقيح سيرة الدمشقي الملك الظاهر بيبرس، فرانسيس جينيل

- الدين والفلسفة

- من القرآن إلى الفلسفة: اللغة العربية وتشكيل مفردات الفارابي الفلسفية، جاك لانغاد

- الأمير عبد القادر: روحانية في الحداثة، أحمد بووردان وإريك جوفروي وستي جي سيمون خديس
- الحياة الدينية في لبنان تحت الإمبراطورية الرومانية، جوليان أليكوت
- المعلمون الصوفيون وطلابهم من القرن الثالث عشر إلى الخامس عشر للهجرة: التدريس والتدريب والانتقال، جان جاك ثيون وجينيفيف غوبيلوت
- الحج في المغرب والشرق الأوسط: أماكن عامة، سيلفيا تشيفولو وأنا مادو
- لويس ماسينيون والإسلام: مكان ودور الإسلام والعلوم الإسلامية في حياة وأعمال لويس ماسينيون، بيير روكالف

نشرة الدراسات الشرقية

نشرة الدراسات الشرقية (BEO) هي مجلة علمية تم إنشاؤها عام 1931 بمبادرة من الباحثين الفرنسيين العاملين في الشرق الأوسط في إطار معهد البحوث الذي تأسس في دمشق في عام 1922 لدراسة الآثار الإسلامية و فن الشرق الأوسط. وتقوم نشرة الدراسات الشرقية بنشر مقالات ساهم فيها الأكاديميون والباحثون وطلاب الدكتوراه المتخصصون في المجالات التالية:

- آثار وتاريخ الفن الشرق أوسطي في العصر الإسلامي (من القرن السابع)
 - تاريخ الشرق الأوسط من الفتح العربي (القرن السابع) إلى نهاية الإمبراطورية العثمانية (1918)
 - الأدب العربي والكلاسيكي والمعاصر
 - اللغويات العربية
 - تاريخ الفكر الديني الإسلامي («العلوم الإسلامية»)، وأيضاً اللغة العربية المسيحية أو اليهودية ؛ فلسفة القرون الوسطى للغة العربية
 - تاريخ العلوم والتكنولوجيا في الشرق الأدنى من العصور الإسلامية.
 - المقالات مكتوبة باللغة الفرنسية أو العربية أو الإنجليزية أو الإسبانية.
- المسؤول عن المجلة: بولين كوتشيت
- جاءت عناوين الأعداد كالتالي:

- 2018: القوة والثقافة في العالم العربي والإسلامي في العصور الوسطى -دراسات مكرسة لذكرى تييري بيانكيز- سنة 2017

- 2017: مجموعة أبحاث ودراسات في ذكرى جمال الدين كولوغلي (1947-2013) سنة 2016.



تحت إشراف جورج بوهاس وبرونو باولي

- 2016: تاريخ وأثروبولوجيا الروائح في أرض الإسلام في العصور الوسطى - عام 2015

- 2015: التعددية القضائية في الإسلام الحديث - سنة 2014

- 2014: سنة 2013، ووردت فيه العناوين التالية: الحروف الصوامت في اللغات الحامية السامية والفونيم الأم في اللغة البربرية؛ التطابق بين الصفة والموصوف في القرآن؛ تنوع المنظمات المحاربة في العالم العربي: في الترادف المزعوم بين تنظيم ومنظمة...

- ديسمبر 2012: دمشق في العصور الوسطى والعثمانية. تاريخ حضري، مجتمع وثقافة مادية

- ماي 2012: سنة 2011: ووردت فيه العناوين التالية: مساهمة في قراءة مسائل أبي رشيد النيسابوري؛ بدايات علم الكلام عند الأشاعرة؛ عصمة الرسول محمد في عقيدة أهل السنة؛ التصوف والمتصوفون عند ابن تيمية؛ مسألة العقلية من خلال نهج إخوان الصفاء...

- أكتوبر 2010: العروض العربي في القرن الثالث عشر بعد الخليل

مجلة «سوريا آثار وفن وتاريخ»

تمّ إنشاء مجلة «سوريا آثار وفن وتاريخ» عام 1920 من قبل المعهد الفرنسي للشرق الأدنى بمساعدة المركز الوطني للبحوث العلمية CNRS، وتهتم المجلة بالتاريخ القديم والآثار في الشرق الأوسط من عصور ما قبل التاريخ إلى القرن السابع، وامتداداً من البحر المتوسط إلى الهضبة الإيرانية.

وجاءت عناوين بعض الأعداد على النحو التالي:

- 2017/94: آثار الطقوس في العالم النبطي

- 2016/93: الكتابة اليونانية واللاتينية في الشرق الأوسط (الأردن، لبنان، سوريا)

- 2015/92: حمّامات الأردن، أخبار الدراسات الحراريّة

- 2013/90: بحوث معاصرة حول احتلال المناطق الصحراوية في الأردن في العصر البروتو-هستوريكي (protohistoriques)

- 2009/86: التفاعل بين الآشوريين والآرمن

- 2008/85: المياه في المدينة القديمة

سبيدي پارساباجو



الجنسية: فرنسية

التاريخ: معاصر

التخصص: الأنثروبولوجيا، الإثنولوجيا،

التاريخ المعاصر

Sepideh Parsapajouh

- باحثة في المركز الوطني للبحث العلمي CNRS
- تعمل على معتقدات الشيعة الإمامية وممارساتهم الشعبية، وخاصة في إيران.

إصدارات

- 2016: في قلب أحد الأحياء الفقيرة في إيران من زوراباد إلى إسلام آباد، 324 صفحة، باريس، Carthala-IFRI
- 2005: نحن-هم إثنوغرافيا الشك، 267 صفحة. طهران، وزارة التراث والثقافة
- الإشراف على وضع مؤلفات جماعية وأعداد مجلات
- 2020: الأديان في إيران، مجلة أرشيف العلوم الاجتماعية للأديان (ASSR)، منشورات EHESS، بالتنسيق مع صابرينا مرفن.
- 2019: المقابر والأضرحة في العالم الإسلامي عند التقاء الرهانات الدينية والسياسية وما يتعلق بالذاكرة، مجلة العوالمين الإسلامي والمتوسطي (Remmm)، منشورات جامعة بروفانس (Provence)، بإشراف ماتيو تيرييه (Mathieu Terrier)، عدد 146 (2019-2).
- 2018: هذه المدن مذكرات كوليت بيتوني، منشورات نانثير (Nanterre) الجامعية. سلسلة (الاجتماعي والسياسي)، 235 صفحة. إشراف آن رولن Anne Raulin وماري-كلود بلان-شاليار Marie-Claude Blanc-Chaléard.



مقالات في مجلات علمية

- 2019: «جنت الزهراء»: مقبرة طهران الكبيرة بين الممارسات الشعبية وعقلانية الدولة، مجلة العالمين الإسلامي والمتوسّطي (Remmm): المقابر والأضرحة في العالم الإسلامي والتقاء الرهانات الدينية والسياسية وما يتعلّق بالذاكرة. عدد 146، كانون الأول 2019، ص. 171-194.
- 2019: «لأجل مَنْ هؤلاء الشهداء؟» نقاشات حول أضرحة الشهداء في مقبرة جنت الزهراء في طهران. مجلة العالمين الإسلامي والمتوسّطي Remmm، الاتجاهات الشيعية السياسية، العدد 145 (2019-1)، ص 29-58.
- 2019: «في نظر الشهداء في طهران. مقارنة أنتروبولوجية لصنع الأيقونات المَدنية»، الإنسان، المجلة الفرنسية للأنتروبولوجيا، العدد 229 (كانون الثاني / آذار 2019)، ص 7-48.
- 2016: «مرقد الإمام الحسين. البناء والتطوّر السياسي للموضوع الديني من قمّ إلى كربلاء». أرشيف العلوم الاجتماعية للأديان. قوة الأجسام. موادّ للاختبار. العدد 174 (نيسان - حزيران 2016)، ص 49-74.
- 2015: «عالم الأعراف البشرية بين مجالين: شعورات متناقضة من طهران إلى باريس»، 2015، Influxus. بالتنسيق مع فيرونيك داسيي (Véronique Dassié) ومانون إيستاس (Manon Istasse) وفرجينى فالتان (Virginie Valentin)
- 2014: «القيّم على طاولة النقاش: أزمة الأيديولوجيا وأزمة التوريث في المجتمع الإيراني منذ ثورة 1979»، مجلة أرشيف العلوم الاجتماعية للأديان. العدد 166، ص. 243-268. منشورات EHESS.
- 2014: «من بناء الملجأ إلى خلع الصفات البشرية على المسكن في الأحياء الشعبية في إيران وفرنسا». كراسات السوسولوجيا الاقتصادية والثقافية، علم نفس الإثنولوجيا، العدد 55، معهد السوسولوجيا الاقتصادية والثقافية، Le Havre، ص. 49-72.
- 2012: «دراسة إثنوباتية لقرية باسكالح في شمال طهران». تأليف مانيجه مخصودي وسيدي بارساباجو، المجلة الإيرانية للبحث الأنتروبولوجي، المجلد الأول، العدد الثاني، شتاء وربيع 2012، ص. 7-200، ص. 137-161.
- 2008: «دراسة أنتروبولوجية للبور الفقيرة في حاضرة طهران» ناصر فاخوري وسيدي بارساباجو، المجلة الإيرانية للدراسات الاجتماعية، المجلد الثاني، العدد الثاني، شتاء 2008، إصدار خاصّ يتناول المركز والجوار، ص. 75-98.
- 2005: دراسة داخلية للمسكن اللا اعتيادي، المجلة الفصلية للإنعاش الاجتماعي. المجلد الثاني، العدد السادس، شتاء 2003، ص. 161-197.

- 2002: «تشكّل الهوية الجماعية للسكان في إسلام آباد، كراچ». ناصر فاقوهي وسيدي بارساباجو، المجلة الإيرانية للأنثروبولوجيا، المجلد الأول، العدد الأول، ص. 123-145.

أجزاء من مؤلفات جماعية، وأعمال مؤتمرات منشورة

- 2020: فصل بعنوان «الشّرّ النازل والشّرّ المرذود قراءة أنثروبولوجية لممارسات العويل واللّعن في المذهب الشيعي في إيران» ضمن (مسألة الشّرّ: تحدّ للآهوت الشيعي وللأسففة في الإسلام) إشراف باتريزيا سبالينو وماتيو تيربيه. منشورات Brill
- 2019: فصل «التدوين بين التأميم وإعادة التخصيص الشعبي. مراسم عاشوراء في إيران» ضمن (مظاهر غير مرغوب فيها الديني من خلال تصنيف المجموعات الإثنية والعرقية)، إشراف سيمونا ترسغني (Simona Tersigni) وكليير فنسن موري (Claire Vincent-Mory) وماري-كليير فيليم (Marie-Claire Willem) باريس، بتر (Petra)، سلسلة تقاطعات Intersections ص. 75-87.
- 2019: «المرأة وتعبيراتها في مراسم عاشوراء في طهران» ضمن (الدولة - الأمة وصناعة الجندر والجسم والجنسانية (إيران وتركيا وأفغانستان))، إشراف لوسيا ديرنبرجر وآخرين، منشورات بروفانس الجامعية (سلسلة genre) ص. 49 - 72.
- 2018: فصل «بين التماسك والإنكار. مباشرة البحث الإثنولوجي في الأحياء الإيرانية الفقيرة» ضمن (هذه المدن. مذكرات كوليت بيتوني)، إشراف آن رولن (Anne Raulin) وماري-كلود بلانشاليار وسيدي بارساباجو، منشورات باريس-ويس (Paris-Ouest الجامعية (PUPO))، سلسلة «الاجتماعي والسياسي» ص. 103-133.

ترجمات من الفرنسية إلى الفارسية

- 2020: فصل من كتاب (أعياد وحضارات)، جان دوفنيو Jean Duvignaud، 1984، باريس، سكاربيه Scarbée نُشر في (المسرح والمجتمع) إشراف رضا كوشك-زادة.
- 2016: ترجمة إلى الفارسية لفصل «ميلدا من البلطيق إلى البحر الأسود، مسار ثوري» كريسيان برومبرجر، مجلة الإثنولوجيا الفرنسية، المجلد 46، 2016 - 3، ص. 395-404.





من إصدارات
 المركز الإسلامي
 للدراسات الاستراتيجية

يزداد اهتمام الدوائر الغربية بالتشيع والشيعة، على المستويين البحثي والأكاديمي، ما يحتم علينا مواكبة هذا الاهتمام ووضعه في دائرة الضوء؛ لما سيكون له من أثر في علاقات الشرق والغرب عموماً، والموقف الغربي من التشيع خصوصاً، كما تحدّد لنا هذه الإضاءات مسارات الحوار الحضاري التي ترسم علاقتنا بالآخر.

وحرصاً على بيان ما يقدمه الغربيون حول التشيع وعقائد الشيعة، كانت هذه النشرة التي يعدّها ويصدرها المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ويضعها بين أيدي العلماء والمفكرين، أملين أخذ هذا الأمر كرسالة محفّزة للبحث العلمي، وبيان حقائق الأمور بأصالة وموضوعية.



<http://www.iicss.iq>
info@iicss.iq
islamic.css.lb@gmail.com



Shiites in Western studies